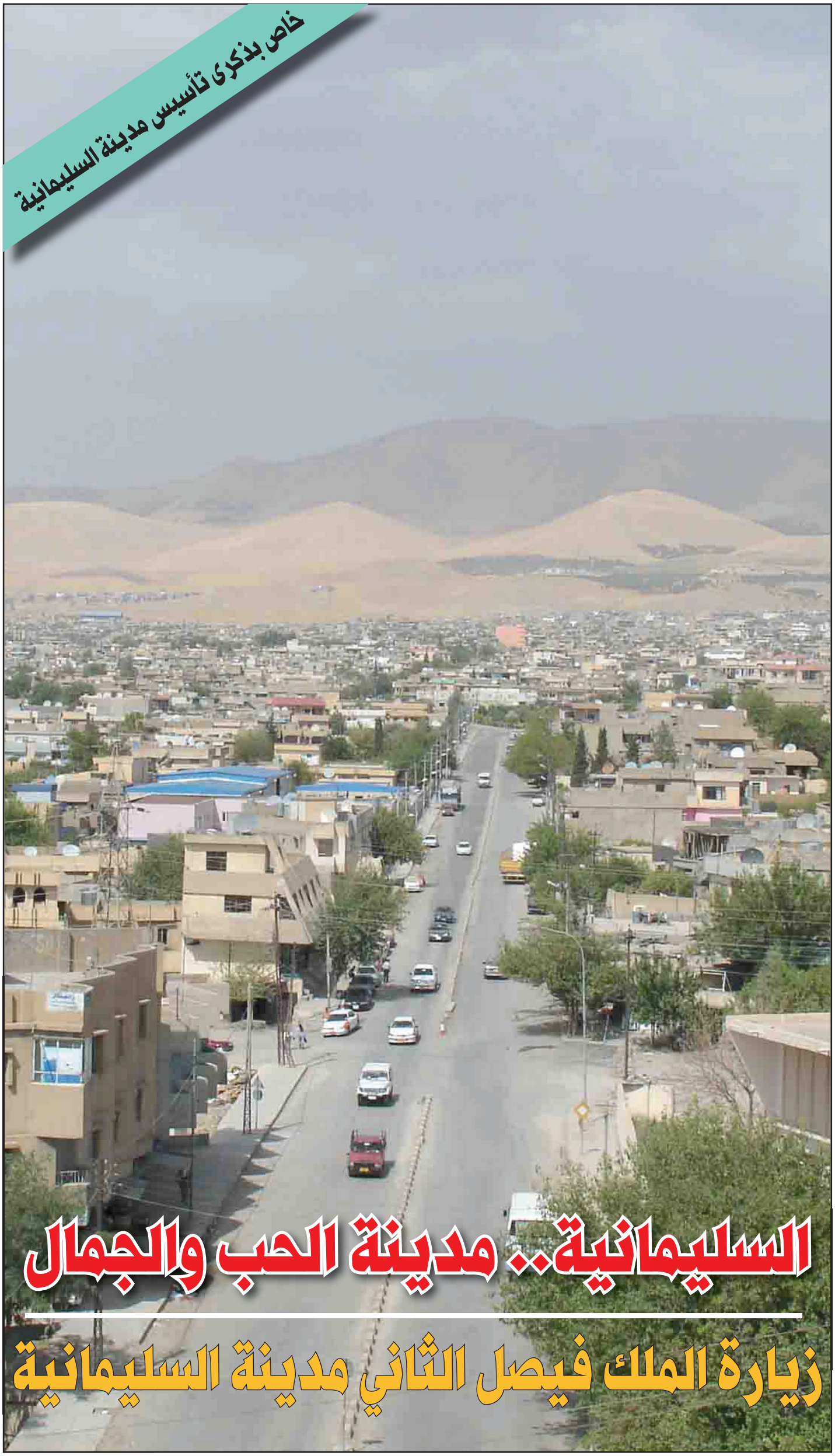

خاص بذكرى تأسيس مدينة السليمانية

السليمانية.. مدينة الحب والجمال

زيارة الملك فيصل الثاني مدينة السليمانية

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

ملحق اسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

العدد (1965) السنة الثامنة

الإثنين (15) تشرين الثاني 2010

12

انتفاضة السليمانية بزعامة الشيخ محمود الحفيد

رجال من السليمانية

جلال طالباني .. تاريخ من النضال والسياسة

الرئيس جلال طالباني شخصية سياسية معروفة على المستوى العراقي والعربي والعالمي، فابن السليمانية الذي ناضل في سبيل حرية شعبة العراقي لا ينسى فضل مدينته "السليمانية"، عله وهو يفخر بأنه ابن هذه الجبال الذي عرفته مناضلا صلبا في سبيل قضايا الحرية والعدالة والاستقلال والديمقراطية

ولد في ١٩٣٣ عام وفاة فيصل الأول وتسنم خلفه غازي عرش العراق.

تربع على عرش العراق ثلاثة ملوك وسبعة رؤساء (مع الطالباني)، يجدر بنا أولا عرض موجز لسيرة حياة كل منهم وثم نعرج إلى تبيان أهم النقاط التي يتميز بها آخر رئيس للعراق مع أقرانه.

– ولد جلال طالباني عام ١٩٣٣ في قرية (كلكان) القريبة من بحيرة دوكان بكردستان العراق.

– تلقى تعليمه الابتدائي والمتوسط في كويسنجق، وتلقى التعليم الثانوي في مدينتي أربيل وكركوك.

– دخل النضال الوطني الكردستاني والعراقي منذ نعومة أظفاره، وناضل نضالا جادا مريرا من أجل نيل الحقوق القومية العادلة للكرد، وتحقيق الديمقراطية للشعب العراقي بكل قومياته وتوجهاته وأطيافه حتى اعتبره البعض مفكر الديمقراطية والتعددية في كردستان والعراق شكل مع مجموعة من الطلاب عام ١٩٥٣ اتحاد طلبة كردستان بشكل سري، وكان عمره آنذاك ٢٠ عاما، وبذلك يعود الفضل إليه والى رفاقه في إيجاد هذا التنظيم بين الطلبة للمرة الاولى. ونظرا لنشاطه السياسي ، وهو في ذلك العمر أصبح عضوا في الحزب الديمقراطي الكردستاني أنتخب عام ١٩٥١ عضوا في اللجنة المركزية للحزب الديمقراطي الكردستاني وله من العمر ١٨ سنة. ولم يحصل أحد من الكرد في تاريخ ذلك الحزب على تلك المسؤولية في مثل ذلك السن المبكر لحد الآن ، مما يدل على مدى نبوغه السياسي ، ووعيه الاجتماعي في مقتبل العمر. عند حصوله على الشهادة الثانوية رغب الدخول في كلية الطب إلا أن السلطات الأمنية العراقية منعته من تحقيق تلك الرغبة بسبب نشاطه السياسي تمكن من دخول كلية الحقوق في بغداد عام ١٩٥٣، إلا أنه اضطر الى الاختفاء عام ١٩٥٦، ولم يتمكن من إتمام الدراسة فيها إثر ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ استأنف الدراسة في كلية الحقوق

طالباني مع عدد من البيشمركة

مرة أخرى، كما عمل في تلك الفترة صحفيا و محررا في صحيفتي (خه بات-النضال) و (كردستان) لسان حال الحزب الديمقراطي الكردستاني. تخرج من كلية الحقوق عام ١٩٥٩ واستدعى إلى الخدمة العسكرية في الجيش العراقي، وتخرج كضابط احتياط وخدم في وحدات المدفعية والدروع إلى أن أصبح قائدا لكتيبة دبابات.

– بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ كان ضمن وفد اتحاد طلبة كردستان إلى الاتحاد السوفيتي والتقى هناك بالجنرال مصطفى البارزاني. عندما أعلنت الثورة الكردية في أيلول ١٩٦١ كان الطالباني عضوا في المكتب السياسي للحزب الديمقراطي الكردستاني. وأستلم كقائد مسؤولية قيادة جبهات كركوك والسليمانية. وقاد المقاومة في مناطق (ماوت وجه مي ريزان وقرداغ) وهو بذلك ساهم مساهمة جادة مع البيشمركه في أخطر ميادين النضال مؤكدا أنه واحد منهم، ومعهم يدا بيد. ومنذ ذلك التاريخ دخل قلوب الجماهير وحاز على محبتهم ورضاهم.

في فبرابر/شباط ١٩٦٣ أصبح الطالباني ممثلا عن البارزاني، وترأس وفدا كرديا إلى بغداد والتقى بقادة الانقلاب البعثي. وسافر إلى القاهرة للحصول على مساندة عربية، حيث التقى بالرئيس الراحل جمال عبد الناصر، كما سافر الى الجزائر واتقى بالرئيس أحمد بنبلا.

بعد مؤتمر كويسنجق للحزب الديمقراطي الكردستاني عام ١٩٦٣ ترأس مام جلال وفد الحزب لإجراء المفاوضات مع نظام بغداد لنيل الحكم الذاتي. وعندما حاولت القوات العراقية الهجوم على إقليم كردستان، سافر الطالباني بكل جرأة في تلك الظروف الصعبة والخطيرة إلى بغداد مرة أخرى، في عام ١٩٧٠ عقد الحزب الثوري الكردستاني (جلالي) بزعامة الأستاذ جلال الطالباني كونرانسه في مدينة كلار . بعد اتفاقية ١١ آذار عام ١٩٧٠ ومنح الشعب الكردي الحكم الذاتي، والاعتراف بوجود قوميتين في العراق، وأصبح طالباني ممثل الحركة التحررية الكردية أولا في بيروت لفترة معينة، ثم في القاهرة إلى نكسة ٦ آذار ١٩٧٥ وانهيار الثورة الكردية التي قادها الملا مصطفى البارزاني.

– شارك في عام ١٩٦٧ في (ندوة الاشتراكية العربية) في الجزائر وقدم العديد من المحاضرات والندوات الخاصة بالكرد والاشتراكية والوحدة العربية التي نالت استحسان الحضور.

– في بداية عام ١٩٧٥ زار مصر وأجرى سلسلة من المباحثات مع المسؤولين وأقنعهم بان تقوم الجمهورية العربية المتحدة بدور الوساطة بين الثورة الكردية والحكومة العراقية أثناء انعقاد مؤتمر القمة غير أن اتفاقية الجزائر المشؤومة قضت على الثورة بعد ان قطعت كافة السبل لمساعدة الثورة ولذلك قام مام جلال بجولة مكوكية على أمل التأثير على الدول

طالباني وسط المقاتلين من البيشمركة

الصديقة للعراق كالاتحاد السوفيتي السابق كي تتدخل لصالح إيقاف حملات التعريب التي كانت جارية آنذاك على قدم وساق في مناطق مختلفة في كردستان، وفي الوقت نفسه بدأ يتصل بالأحزاب والمنظمات الكردية وكذلك الشخصيات المستقلة في كردستان وخارج كردستان وكانت ثمرة اتصالاته تشكيل الاتحاد الوطني الكردستاني من عصبة كادحي كردستان والحركة الاشتراكية الكردستانية والخط العام وبعد فترة قصيرة تمكن من إرسال طلائع المفارز المسلحة إلى جبهات متفرقة من مناطق كردستان متزامنا مع الحزب الديمقراطي الكردستاني وجهات أخرى لتفجير الثورة الكردية من جديد وافرغ بذلك أهداف اتفاقية الجزائر من محتواها. بعد مكوثه في معاقل البيشمركة لمدة اربع سنوات أجرى مام جلال جولة في دول العالم لتوفير الدعم والاسناد للثورة، واثناء جولته تمكن من تشكيل أوسع جبهة عراقية معارضة في حينه وهي الجبهة الوطنية القومية، وفي الجولة نفسها تمكن من جلب المزيد من المساعدات العسكرية من ثوار فلسطين وليبيا ولكن الجمهورية الاسلامية استحوذت على تلك المساعدات وهي في طرق وصولها إلى كردستان. خطط مع عدد آخر من قادة الكرد للانتفاضة الجماهيرية العارمة التي كنست المؤسسات البعثية من ارض كردستان. قام بعشرات الجولات إلى خارج كردستان وفي جولاته كافة التقى بأهم الشخصيات التي لها تأثير على مراكز صنع القرار في بلدانهم . اكتسب ثقة الشخصيات المسؤولة في الكثير من الدول. التقى بروساء الكثير من دول الإقليم ودول العالم واستقبل من قبلهم استقبال رسمي لم يحظي بمثل هذا النوع من الاستقبال من رؤساء الأحزاب السياسية سوى أخيه الأستاذ مسعود بارزاني رئيس الحزب الديمقراطي الكردستاني. إلى جانب انشغاله بالسياسة طيلة حياته اهتم الطالباني بإسهاماته الكبيرة بالصحافة والكتابة وأدناه بعض ما خلف من آثار فكرية:

- كراسة السلم /١٩٥٣ -لصيانة السلم العالمي وهي كتابة نقدية على شعر المرحوم كامران موكري.
- ضرورة وجود اتحاد لطلبة كردستان /١٩٥٣.
- الكورديتي /١٩٥٩ .
- ضرورة وجود حزب طليعي في كردستان ١٩٥٩ .
- حول الكادر وأهمية وجوده في البارتي ١٩٦٠ .
- كردستان الثائرة ١٩٦٢ .
- الاشتراكية والمسألة القومية والمشكلة الكردية في العراق ١٩٦٢.
- كردستان والحركة التحررية الكردية ١٩٦٩.
- الجبهة الوطنية التقدمية / ١٩٧٠ .
- الاتحاد الوطني الكردستاني لماذا ؟ / ١٩٧٥
- حقائق عن الاتحاد الوطني الكردستاني الحوار والثورة١٩٨٧
- حول الثورة في السنوات١٩٨٣-١٩٨٥
- هذا بالإضافة إلى المئات من المقالات والمحاضرات والتحاليل السياسية بلغات مختلفة في الصحف، خبات و كردستان ، الشرارة ، ريبازي نوى ، الاتحاد ، كوردستانى نوى وفي المجلات الهدف ، الحرية .

يتميز طالباني من بقية أقرانه بأنه يجيد لغات العراقيين الرئيسة بالإضافة إلى بعض اللغات الأجنبية الأخرى ، تعلم الألمانية تلقائيا من دون الاستعانة بأية دورة تعليمية في عام ١٩٦٤ كما حدثنا في لقائه بنا بمدينة زيوريخ السويسرية.

ـــ يتميز طالباني كونه صحفيا وكاتبا ومثقفا ما يمكنه من إرضاء الطبقة المثقفة في العراق والتفافهم حوله .

- يعتبر الطالباني مدافعا حقيقيا عن حقوق المرأة في العراق وقد اشرف بنفسه على تعديل بنود قانون الأحوال الشخصية في كردستان ووجود زوجته بجانبه كسيدة العراق الأولى تكون عونا إضافيا له ما تتمع بنشاط وحيوية في مجال حقوق المرأة ، حيث ان السيدة هيرو ابراهيم احمد معروفة في اوساط كردستان كناشطة في مجالات عديدة وقد كانت ايام النضال في الجبل تحمل كامرتها متجولة من مكان الى اخر لتوثيق الثورة ولذلك تعتبر اليوم المرجع الوحيد للأفلام والوثائق النادرة التي توثق حلقات كادت تكون مفقودة لولا جهودها ، تشرف الآن على مؤسسة خاك الإعلامية وهي كريمة الأديب والقاضي ابراهيم احمد السكرتير الأسبق للحزب الديمقراطي الكردستاني.

- يعتبر طالباني سندا ودعما للطلبة في العراق كونه احد انشط رواد الحركة الطلابية في العراق وهو الذي اسس اتحاد طلبة كردستان عام ١٩٥٣. وهكذا يعتبر جلال طالباني ممثلا صادقا لكل فئات الشعب العراقي وشرائحه.

اعداد: ذاكرة عراقية

صورة نادرة للرئيس جلال طالباني اثناء فترة النضال ضد الدكتاتورية

تبعد عن بغداد شمالاٍ بنحو (330) كم، وتضم عدة أقضية، أهمها: قضاء بنجوين، الذي يعتبر منفذاً إلى إيران، وقضاء حلبجة، وقضاء جمجمال، كما أنشئ في خمسينيات القرن الماضي، فيها، سدان كبيران،هما سد دوكان، وسد دربنديخان.

السليمانية.. مدينة الحب والجمال والثقافة والمصايف

جولة في المدينة

يمكن للسائح التجول في مدينة السليمانية انطلاقاً من وسطها، الذي يبدو مثل وردة كبيرة تتفتح تواً للصباحات الجميلة، فالجبال تحتضن المدينة من كل ناحية، وتلتقي في الجنوب الغربي بمضيق طاسلوجة المؤدي إلى وادي بازيان الممتد الفسيح، وفي جنوبها الشرقي تتصل بمدخل شهر زور المترامي الأطراف. ويتسلق المرء جبل أزمر، ففي أيام العطل الرسمية والجمع يترك سكان المدينة بيوتهم نحو الوديان الممتدة ما بعد جبل ازمر، وهي عادة كردية أصيلة، حيث تقضي هذه العوائل عطلتها الأسبوعية على حافات مياه الوديان والشلالات، بدبكاتها وأغانيها وموسيقاها الأصيلة.. على بعد خمسة كيلومترات من وسط المدينة يقع (بناري كويزة)، و(جبل أزمر)، وهما مرتفعان جميلان، الطقس فيهما معتدل وصاف، يرتادها السواح في فصل الشتاء للاستمتاع بمنظر تساقط الثلوج، وفي فصل الصيف للاستمتاع بجوها المعتدل ومناظرها الخلابة، فيها الطرق معبدة بصورة هندسية بديعة، وعين الماء الموجودة في أزمر معلم سياحي منذ القدم، يضم مرافق سياحية ومشاريع سياحية عملاقة.

وإذا أردت أن تنحدر فهناك قلة جولان (قلعة جولان) التي تقع بجوارها عين ماء تدعى (كاني اسكان) اي (عين الغزلان)، وكان الأمراء البابانيون الموجودون في قلاجو، يأتون الى هذه المنطقة لصيد الغزلان، التي كانت ترتوي من هذه العين التي مازالت موجودة إلى الآن. وإذا ما اجتزت هذه القلعة حتى تنفتح أمامك الأرض واسعة مزهرة بالمياه والألوان والمفاجآت الصورية، وتنبسط على طرفي الطريق القرى واحدة اثر الأخرى، فهناك قرية سركلو التي تشكل جزءاً مهماً من أودية (الجاف)، الذي يضم في ثناياه بساتين كثيرة، ومصادر مياه تضفي على المنطقة ملامح سياحية بديعة، تقع هذه المنطقة شمال شرقي مدينة السليمانية بالقرب من (قلاجولان) وبالقرب من شمال غربي سورداش، أما قرية (ميركة بان) فتقع خلف جبل (بيرة مكرونة) على بعد (٥٠) كلم غرب مدينة السليمانية، تكسوها كمية هائلة من الثلوج في فصل الشتاء، وتبقى مخضرة طول فصل الربيع، وبالقرب من قرية (قزلر) يمر طريق متموج يصل إلى (رنو)، وفي فصل الصيف يقوم عمال الثلج في هذه المنطقة بجلب القوالب الثلجية إلى القرى المحيطة بالمنطقة. ولابد من زيارة ينابيع سرجنار الصافية، التي تقع على بعد (٥) كم جنوب شرقي مركز السليمانية، وعلى طول الينابيع ومجراها تنتشر المطاعم والمقاهي العالية وملاعب الأطفال وحدائق متنوعة إنها مصيف خلاب تثير إعجاب ودهشة السياح.. وهناك حديقة نوروز في مصيف (سرجنار) التي تضم مطاعم وقاعات وأماكن استراحة وحديقة حيوانات وكل متطلبات السياحة والراحة..أما منطقة احمد أوا، التي تقع على مسافة (٨٤) كلم شرق مدينة السليمانية وعلى مقربة من قضاء خورمال فهي من أجمل مصايف وشلالات السليمانية، حيث تنتشر الكابينات والمقاهي السياحية عند ضفتي مجرى مائي ينحدر بحرية وبقوة فوق الصخور، هنا تجد العوائل العراقية من مدن العراق كلها تتجمع في الصيف يشكلون العراق بأجمعه، وحيث يلتحق الشبان والشابات حول عازفي الطبل والمزمار لأداء الرقصات الكردية بأسلوبيها البهدناني والسوراني.الطريق إلى منابع المياه، إلى الشلالات، والطريق المتعرج المحاذي لوادي سحيق مكسو بالأشجار العالية والمنحدرات المائية، لا يعرف أسراره سوى سكان المنطقة. وإذا ما تسلقت الصخور نحو القمة، حيث تنفتح في جدار الجبل الصخري الصلب ثغرة كبيرة تعرف باسم (زلم)، من هذه الثغرة تنطلق المياه قوية جبارة، وكأنها تعبر عن سعادتها بتحررها من قيود الجبل لتنطلق إلى الطبيعة بكل ما فيها من قوة ترافقها أصوات ارتطام المياه في الصخور وكأنها أنشودة للحرية الأبدية.

أهم المعالم السياحية:

الجامع الكبير:

شيد في القرن الثامن عشر من قبل أمراء بابان، يضم منارات كبيرة وعالية يوجد داخل المسجد مرقد الشيخ معروف النوديهي المعروف بـ(كاكا احمد الشيخ) كما يضم مرقد الشيخ محمود الحفيد.

مرقد النبي أيوب (ع):

يقع في قرية (بردة كر) جنوب السليمانية بـ(٦٥) كم وتوجد عين ماء معدني في الوادي المجاور..

جامع مولانا خالد:

شيد في القرن الثامن عشر لمرشد الطريقة النقشبندية الشيخ خالد، المعروف بـ(مولانا خالد النقشبندي).. وكان هذا المسجد مقام العديد من الشعراء والمتصوفين الكرد.

جامع محوى:

شيد عام ١٨٨٣ بأمر من السلطان عبد الحميد الثاني، ليكون مدرسة يدرس فيها الشاعر الكردي والمتصوف الكبير ملا محمد، المعروف بـ(محوى) وبعد وفاته دفن فيه وليصبح مرقده.

كنيسة السليمانية:

تقع في وسط المدينة شيدت منذ بدايات المدينة على طراز معماري جميل، تضم قاعة كبيرة للأعياد والمراسم الدينية وحديقة جميلة يجتمع فيها مسيحيو المدينة في مناسباتهم، يزور مسلمو السليمانية تلك الكنيسة في الأعياد الدينية لمشاركة إخوانهم المسيحيين أفراحهم.

مصيف سرجنار:

يقع غرب مدينة السليمانية ببعد (٥) كم، فيه مساحات خضر شاسعة، مغطى بالأشجار الكثيفة من جميع الأطراف، وتضفي عليها ينابيع الماء العذب منظراً خلاباً، يجذب إليه السياح في فصلي الربيع والصيف.

سدة جق جق:

منطقة سياحية جميلة بنيت حديثاً، حيث بحيرتها الواسعة، التي تضيف جمالاً فوق جمال الطبيعة ذاتها، تضم المنطقة كابينات وأماكن للاستراحة.

سفوح جبال كويزة وجبال أزمر:

مرتفعان يطلان على مدينة السليمانية لهما مناخ معتدل، في الشتاء يزوره السياح للتمتع بمناظر الثلوج، وفي الصيف من اجل هوائه النقي ومناظره الخلابة. يعتبر نبع ازمر من المناطق السياحية القديمة في المنطقة.

مصيف سرسير:

يقع على بعد (٦٣) كم شمال مدينة السليمانية تغطيه البساتين والاشجار الكثيفة في مساحات شاسعة، ويضم عدة منابع مائية تتساقط فيه الأمطار والثلوج بغزارة في الشتاء وفي الصيف يكون جوه معتدلا وبديعا..

صخرة البطولة:

تبعد (٥٣) كم غرب مدينة السليمانية على الطريق الرئيسي المؤدي إلى مدينة كركوك، تتمتع بطبيعة ساحرة ومناظر خلابة، إضافة إلى بعدها التاريخي، حيث يوجد كهف (باله كه وره) الأثري ومضيق بازيان المذكور في مصادر التاريخ القديم، بأنه كان الموقع العسكري والإستراتيجي، الذي اعتمد عليه اللولويون في دفاعهم عن منطقتهم ضد المد الأشوري، وهناك أيضا (صخرة البطولة) التي قاتل خلفها الشيخ محمود الحفيد المحتل البريطاني حينها.

قويي قرداغ:

تضم قرداغ عدة مواقع سياحية وتقع جنوب مدينة السليمانية كما تشتمل عدة مواقع آثارية أهمها:

منحوتة (دربندكاور) والمذكور في بعض المصادر بمنحوتة (نرامسين) إضافة إلى قلعة (باوة كروي)، ومجموعة من صومعات الرهبان.

خورمال:

في سفوح جبل سورين، على بعد (٧٩) كم شرقي السليمانية توجد مدينة قديمة ذكرت في كتب التاريخ بـ(كول عنبر) شيدت في زمن الأمير (خان احمد خان) سدة ترابية على مصب نهر زلم، بقيت آثارها إلى يومنا هذا، وهي تضم نبعاً مائياً معدنياً يستحم فيه المصابون بالأمراض الجلدية.

قلعة شيروانه:

بناها محمد باشا الجاف، على ما تبقى من آثار قلعة قديمة على ضفة نهر سيروان في قضاء كلار، طرازها المعماري يعكس تاريخها، أنها مبنية اساساً لتكون دار ضيافة ولاستقبال من يزورون محمد باشا..

الكهوف:

تضم السليمانية عشرات الكهوف القديمة منها كهف جاسه نه، الذي يقع في قرية (كاني خان)، وكهف باله كوره في منطقة بازيان، وكهف هزارميرد وغيرها.

كما تضم السليمانية أكثر من (١٠٠٠) موقع آثاري ومتاحف منها متحف السليمانية الذي يعتبر من اغنى المتاحف الأثرية في المنطقة، إضافة إلى متحف التراث في السليمانية، الذي يقع على شارع نالي، وهو بيت كردي قديم يضم مجموعة كبيرة من مقتنيات القرون المنصرمة، فيها آلات وادوات مستخدمة في البيوت والأعمال..

كما تضم السليمانية عشرات الجداريات الأثرية والآثار عبر تاريخها.

السليمانية.. مدينة المحبة والثقافة والمصايف

كلما زرتها عاودك الحنين..

د. هادي حسن عليوي

السليمانية.. مدينة الحب والجمال والثقافة والمصايف، تقع في شمال العراق، وهي احدى المحافظات التي تكون اقليم كردستان العراق، كانت عاصمة لإمارة بابان تبعد عن بغداد شمالاً بنحو (٣٣٠)كم، وتضم عدة اقضية، اهمها: قضاء بنجوين، الذي يعتبر منفذاً الى ايران، وقضاء حلبجة، وقضاء جمجمال، كما انشئ في خمسينيات القرن الماضي، فيها، سدان كبيران،هما سد دوكان، وسد دربنديخان.

جولة في المدينة

يمكن للسائح التجول في مدينة السليمانية انطلاقاً من وسطها، الذي يبدو مثل وردة كبيرة تتفتح تواً للصباحات الجميلة، فالجبال تحتضن المدينة من كل ناحية، وتلتقي في الجنوب الغربي بمضيق طاسلوجة المؤدي الى وادي بازيان الممتد الفسيح، وفي جنوبها الشرقي تتصل بمدخل شهر زور المترامي الاطراف.ويتسلق المرء جبل ازمر، ففي ايام العطل الرسمية والجمع يترك سكان المدينة بيوتهم نحو الوديان الممتدة ما بعد جبل ازمر، وهي عادة كردية اصيلة، حيث تقضي هذه العوائل عطلتها الاسبوعية على حافات مياه الوديان والشلالات، بدبكاتها واغانيها وموسيقاها الاصيلة.. على بعد خمسة كيلومترات من وسط المدينة يقع (بناري كويزة)، و(جبل ازمر)، وهما مرتفعان جميلان، الطقس فيهما معتدل وصاف، يرتادها السواح في فصل الشتاء للاستمتاع بمنظر تساقط الثلوج، وفي فصل الصيف للاستمتاع بجوها المعتدل ومناظرها الخلابة، فيها الطرق معبدة بصورة هندسية بديعة، وعين الماء الموجودة في أزمر معلم سياحي منذ القدم، يضم مرافق سياحية ومشاريع سياحية عملاقة.

واذا اردت ان تنحدر فهناك قلة جولان (قلعة جولان) التي تقع بجوارها عين ماء تدعى (كاني اسكان) اي (عين الغزلان)، وكان الامراء البابانيون الموجودون في قلاجو، يأتون الى هذه المنطقة لصيد الغزلان، التي كانت ترتوي من هذه العين التي مازالت موجودة الى الان..واذا ما اجتزت هذه القلعة حتى تنفتح امامك الارض واسعة مزهرة بالمياه والالوان والمفاجآت الصورية، وتنبسط على طرفي الطريق القرى واحدة اثر الاخرى، فهناك قرية سركلو التي تشكل جزءاً مهماً من اودية (الجاف)، الذي يضم في ثناياه بساتين كثيرة، ومصادر مياه تضفي على المنطقة ملامح سياحية بديعة، تقع هذه المنطقة شمال شرقي مدينة السليمانية بالقرب من (قلاجولان) وبالقرب من شمال غربي سورداش، اما قرية (ميركة بان) فتقع خلف جبل (بيرة مكرونة) على بعد (٥٠) كلم غرب مدينة السليمانية، تكسوها كمية هائلة من الثلوج في فصل الشتاء، وتبقى مخضرة طول فصل الربيع، وبالقرب من قرية (قزلر) يمر طريق متموج يصل الى (رنو)، وفي فصل الصيف يقوم عمال الثلج في هذه المنطقة بجلب القوالب الثلجية الى القرى المحيطة بالمنطقة.ولابد من زيارة ينابيع سرجنار الصافية، التي تقع على بعد (٥) كم جنوب شرقي مركز السليمانية، وعلى طول الينابيع ومجراها تنتشر المطاعم والمقاهي العالية وملاعب الاطفال وحدائق متنوعة انها مصيف خلاب تثير اعجاب ودهشة السياح..وهناك حديقة نوروز في مصيف (سرجنار) التي تضم مطاعم وقاعات واماكن استراحة وحديقة حيوانات وكل متطلبات السياحة والراحة..اما منطقة احمد أوا، التي تقع على مسافة (٨٤) كلم شرق مدينة السليمانية وعلى مقربة من قضاء خورمال فهي من اجمل مصايف وشلالات السليمانية، حيث تنتشر الكابينات والمقاهي السياحية عند ضفتي مجرى مائي ينحدر بحرية وبقوة فوق الصخور، هنا تجد العوائل العراقية من كل مدن العراق تتجمع في الصيف يشكلون العراق باجمعه، وحيث يتحلق الشبان والشابات حول عازفي الطبل والمزمار لاداء الرقصات الكردية باسلوبيها البهدناني والسوراني.الطريق الى منابع المياه، الى الشلالات غير معبد، والطريق المتعرج المحاذي لوادي سحيق مكسو بالاشجار العالية والمنحدرات المائية، لا يعرف اسراره سوى سكان المنطقة. واذا ما تسلقت الصخور نحو القمة، حيث تنفتح في جدار الجبل الصخري الصلب ثغرة كبيرة تعرف باسم (زلم)، من هذه الثغرة تنطلق المياه قوية جبارة، وكأنها تعبر عن سعادتها بتحررها من قيود الجبل لتنطلق الى الطبيعة بكل ما فيها من قوة ترافقها اصوات ارتطام المياه في الصخور وكأنها انشودة للحرية الابدية..

اهم المعالم السياحية:

الجامع الكبير:

شيد في القرن الثامن عشر من قبل امراء بابان، يضم منارات كبيرة وعالية يوجد داخل المسجد مرقد الشيخ معروف النوديهي المعروف بـ(كاكا احمد الشيخ) كما يضم مرقد الشيخ محمود الحفيد.

مرقد النبي أيوب (ع):

يقع في قرية (بردة كر) جنوب السليمانية بـ(٦٥) كم ويوجد عين مائي معدني في الوادي المجاور..

جامع مولانا خالد:

شيد في القرن الثامن عشر لمرشد الطريقة النقشبندية الشيخ خالد، المعروف بـ(مولانا خالد النقشبندي).. وكان هذا المسجد مقام العديد من الشعراء والمتصوفين الكرد.

جامع محوى:

شيد عام ١٨٨٣ بامر من السلطان عبد الحميد الثاني، ليكون مدرسة يدرس فيها الشاعر الكردي والمتصوف الكبير ملا محمد، المعروف بـ(محوى) وبعد وفاته دفن فيه وليصبح مرقده.

كنيسة السليمانية:

تقع في وسط المدينة شيدت منذ بدايات المدينة على طراز معماري جميل، تضم قاعة كبيرة للاعياد والمراسم الدينية وحديقة جميلة يجتمع فيها مسيحيو المدينة في مناسباتهم، يزور مسلمو السليمانية تلك الكنيسة في الاعياد الدينية لمشاركة اخوانهم المسيحيين افراحهم.

مصيف سرجنار:

يقع غرب مدينة السليمانية ببعد (٥) كم، فيه مساحات خضر شاسعة، مغطى بالاشجار الكثيفة من جميع الاطراف، وتضفي عليها ينابيع الماء العذب منظراً خلاباً، يجذب اليه السياح في فصلي الربيع والصيف..

سدة جق جق:

منطقة سياحية جميلة بنيت حديثاً، حيث بحيرتها الواسعة، التي تضيف جمالاً فوق جمال الطبيعة ذاتها، تضم المنطقة كابينات واماكن للاستراحة..

سفوح جبال كويزة وجبال أزمر:

مرتفعان يطلان على مدينة السليمانية لهما مناخ معتدل، في الشتاء يزوره السياح للتمتع بمناظر الثلوج، وفي الصيف من اجل هوائه النقي ومناظره الخلابة. يعتبر نبع ازمر من المناطق السياحية القديمة في المنطقة.

مصيف سرسير:

يقع على بعد (٦٣) كم شمال مدينة السليمانية تغطيه البساتين والاشجار الكثيفة في مساحات شاسعة، ويضم عدة منابع مائية تتساقط فيه الامطار والثلوج بغزارة في الشتاء وفي الصيف يكون جوه معتدلا وبديعاً..

صخرة البطولة:

تبعد (٥٣) كم غرب مدينة السليمانية على الطريق الرئيسي المؤدي الى مدينة كركوك، تتمتع بطبيعة ساحرة ومناظر خلابة، اضافة الى بعدها التاريخي، حيث يوجد كهف (باله كه وره) الاثري ومضيق بازيان المذكور في مصادر التاريخ القديم، بانه كان الموقع العسكري والستراتيجي، الذي اعتمد عليه اللولويين في دفاعهم عن منطقتهم ضد المد الاشوري، وهناك ايضاً (صخرة البطولة) التي قاتل خلفها الشيخ محمود الحفيد المحتل البريطاني حينها..

قويي قرداغ:

تضم قرداغ عدة مواقع سياحية وتقع جنوب مدينة السليمانية كما تشتمل على عدة مواقع آثارية اهمها:

منحوتة (دربندكاور) والمذكور في بعض المصادر بمنحوتة (نرامسين) اضافة الى قلعة (باوة كروي)، ومجموعة من صومعات الرهبان..

خورمال:

في سفوح جبل سورين، على بعد (٧٩)كم شرقي السليمانية توجد مدينة قديمة ذكرت في كتب التاريخ بـ(كول عنبر) شيدت في زمن الامير (خان احمد خان) سدة ترابية على مصب نهر زلم، بقيت آثارها الى يومنا هذا، وهي تضم نبعاً مائياً معدنياً يستحم فيه المصابون بالامراض الجلدية.

قلعة شيروانه:

بناها محمد باشا الجاف، على ما تبقى من آثار قلعة قديمة على ضفة نهر سيروان في قضاء كلار،طرازها المعماري يعكس تاريخها، انها مبنية اساساً لتكون دار ضيافة ولاستقبال من يزورون محمد باشا..

الكهوف:

تضم السليمانية عشرات الكهوف القديمة منها كهف جاسه نه، الذي يقع في قرية (كاني خان)، وكهف باله كوره في منطقة بازيان، وكهف هزارميرد وغيرها.

كما تضم السليمانية اكثر من (١٠٠٠) موقع آثاري ومتاحف منها متحف السليمانية الذي يعتبر من اغنى المتاحف الاثارية في المنطقة، اضافة الى متحف التراث في السليمانية، الذي يقع على شارع نالي، وهو بيت كردي قديم يضم مجموعة كبيرة من مقتنيات القرون المنصرمة، فيها آلات وادوات مستخدمة في البيوت والاعمال..

كما تضم السليمانية عشرات الجداريات الاثارية والاثار عبر تاريخها..

مصايف السليمانية

سعد محمد رحيم

حظيت قبل أيام بزيارة خاطفة، لعدة ساعات، إلى مصيف صغير قريب، اسمه سرتك، وهو تابع لمحافظة السليمانية، كان الجو مغبراً وحاراً حين غادرت مدينتي مع بعضٍ الأصدقاء وعائلاتهم، حسبت أنهم اختاروا يوماً سيئاً للاستجمام والاستمتاع بجمال الطبيعة، لكنني حالما وصلت إلى هناك أدركت كم كنت مخطئاً، شعرت كما لو أنني عبرت إلى قارة أخرى، وليس مسافة بضع عشرات من الكيلومترات، فكل شيء كان بهياً ورائقاً، الهواء بارد وعذب، وأمامك تنتصب الجبال بأبهة وكبرياء، مكللة بالخضرة، والأزهار باهرة، ومياه الينابيع الجارية مثلجة، لن تستطيع أن تترك قدميك فيها لدقائق من غير أن تسري في بدنك الرعشة.

والسكان القرويون في غاية الوداعة، وإذ ذاك أيقنت كم أن المرء بحاجة إلى مثل هذه الساعات، بين الوقت والآخر، ليصفي ذهنه بعيداً عن صخب وغبار المدن، إذ لا تصل أسماعك أصوات الرصاص والانفجارات، ولا الأخبار التي تشوش الذهن والروح، وتلقي في النفس الكآبة والاضطراب.. استأجرت مجموعات العائلات الواصلة، بأسعار زهيدة، أماكن ملائمة في بساتين الفاكهة وهناك لعب الأطفال، وحتى الكبار، وتناولوا وجبة غدائهم وخرجوا يصعدون الطريق حيث المشاهد المذهلة التي تنساب وتتغير كل بضع خطوات مثلما الموسيقى.

فكرت، كم في هذه البلاد من الثروات، وكم فيها من فرص الاستثمار، فمنطقة مثل هذه إذا ما توفرت فيها الخدمات من كازينوهات وفنادق وأماكن للراحة، إلى جانب دعاية إعلامية كافية يمكنها أن تجتذب أعداداً هائلة من السياح والمصطافين، من الداخل والخارج، وتدر أرباحاً كبيرة. ونحن نعرف أن في إقليم كردستان عشرات "المصايف" التي هي أكبر وأجمل من مصيفنا هذا، وأن استغلال هذه الثروة الطبيعية بطرق اقتصادية، علمية وفنية مدروسة، ستكفل مصدراً غير ناضب للدخل، وفرص عمل ورفاهاً للسكان.. كنت أفضفض بهذه الخواطر لصديق لي حين فاجأني بالقول؛ والحالة الأمنية؟. قلت؛ إن الإقليم أكثر أماناً من بقية مناطق العراق، ولا شك في أن مثل هذا الأمر غير خاف على حكومة الإقليم، وغير غائب عن خططها. وقد كانت، في بعض "المصايف"، استثمارات وإعمار.

لكن أغلبها بحاجة إلى استثمارات وإعمار أكبر في المدى القريب والمتوسط، وإلى حملة دعائية وإعلامية مرافقة، لأنه من دون الدعاية والإعلان والإعلام، في زمننا الحالي، ستبقى أية خطوة من هذا القبيل متعثرة. وعراق أكثر أماناً واستقراراً سيضمن ازدهاراً في صناعة السياحة سواء في إقليم كردستان، أو في غيره من مناطق البلاد، مثلما سيضمن ازدهاراً في القطاعات الأخرى.

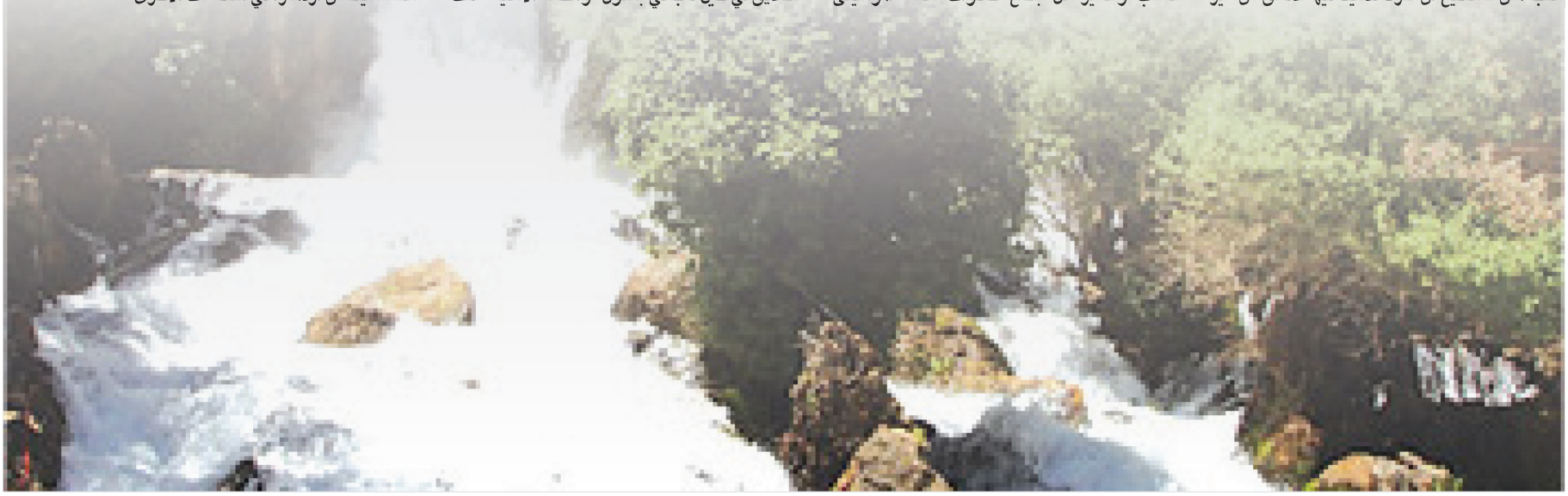

حمامات أيام زمان .. في السليمانية

مؤيد الخالدي

لا يقتصر تراث العراقيين على محافظة دون أخرى، بل إن تأثيراته تمتد إلى كل المحافظات ومنها مدن ومحافظات كردستان العراق، وقد سبق أن تناولنا العديد من مواضيع التراث في السليمانية، واليوم نأخذ قراءنا في جولة عند اكبر وأقدم (حمام شعبي) في السليمانية ألا وهو (حمام سورت) حيث يقع هذا الحمام في السوق الشعبي الخاص بالحدادين في شارع (محوي) وهو احد الشواخص التراثية الأصيلة لهذه المدينة.

ويعود بناؤه إلى أكثر من (٢٠٠ عام)، وان من قام ببنائه هم (البابانيون) في نهايات القرن الثامن عشر للأمارة البابانية القديمة والتي كان مقرها قبل ذلك في الجهة الخلفية لجبال (كويزة) قبل ان يكون مقرها الحالي في مدينة السليمانية الحالية.

ـ ولكي نسأل عن أوليات هذا الحمام وبعض التفاصيل ممن عاشوا حتى هذه اللحظة التقينا (سرور حاجي علي الحمامجي) المشرف على الحمام حيث حدثنا قائلا :

ـ بوشر ببناؤه هذا الحمام في سنة (١٧٨٤) واستمر بناءه لاكثر من(٢٠ سنة)،اما التسمية الحقيقية لهذا الحمام فهي (حمام بابان) وليس (حمام سورت) كما هو متداول الآن وذلك نسبة الى (العائلة البابانية) وعن سبب تغيير التسمية يقول حاجي :

ـ مع بدايات القرن العشرين استبدل العثمانيون اسم الحمام من (حمام بابان) إلى (حمام سورت) وذلك لان جدرانه وسقوفه كانت مطرزة بصور الحيوانات والشخصيات التاريخية البارزة إضافة إلى الخرافات والعفاريت الخرافية القديمة ،لكن السبب الأساسي والحقيقي لتغيير الاسم كان محاولة من العثمانيين على محو أسماء وشخصيات (العائلة البابانية) من الذاكرة الشعبية والثقافية لأهالي مدينة السليمانية،وذلك بعد هزيمة البابانيين وخروجهم من السليمانية الى (قله جولان).

ـ ويضيف حاجي : و يشترك المسجد الكبير (مزكوت كورياه) وبناء السراي في السليمانية مع حمام (سورت) في سنة البناء نفسها ويشكلان معاً أهم المعالم الرئيسية لهذه المدينة. لكن هذا الحمام لم يكن مخصصا لعامة الناس بل كان لاستخدام العائلات البابانية في السليمانية، ثم انتقلت ملكية الحمام من يد الى يد حتى وصل الى يد (الجد الأول للشخصية المسيحية المعروفة عبد الكريم ملكة) وزير المالية في حكومة الملك محمود الحفيد، وكانت ملكيته تعود قبل ذلك إلى اليهود الذين عاشوا بشكل خاص في (زقاق اليهود في السليمانية) الذي يقع في إحدى ضواحي السليمانية القديمة قرب (المدرسة الجمهورية) وزقاق جواراباخ وتحتفظ دائرة التسجيل العقاري في السليمانية بـ(طابو الحمام) حتى الآن حيث يشكل وثيقة تاريخية قديمة.

ـ ويؤكد لنا حاجي بالقول: في سنة ١٩٦٨ استأجر والدي الحمام من عائلة عبد الكريم ملكة،هذه العائلة المسيحية التي توزعت بعد ذلك في دول أوروبا الغربية وأميركا ولم يتبق منهم احد في العراق، ونحن نعمل به منذ أكثر من (أربعين عاماً) ومازالت معالمه التراثية والأساسية كالهياكل والسقوف كما هي من دون تغيير، ويضيف: حينما تسلمها والدي كانت المطرزات والرسومات على جدران الحمام مشوهة وقد تمت مراجعة مديرية الآثار في السليمانية في ذلك الوقت لكنهم رفضوا تخصيص مبالغ لترميم الحمام لذلك لجأ والدي إلى ترميم الحمام بنفسه ومن مصروفه الخاص وتم اصلاح السقف المتهالك والجدران عبر استخدام مادة الجبس من اجل أن لا يتوقف الحمام عن العمل فقد كان مصدر رزقه،وتم ترميم الحمام منذ ذلك الوقت عدة مرات مع الإبقاء على نفس الهياكل والسقوف ليحتفظ بأصالته وتراثه كما هو الحال عليه الآن .

وأضاف: كان والدي حاجي محمد علي عبد الله المشهور بحاجي علي الحمامجي الذي تسلم ادارة الحمام مع (شقيقه) قد ولد عام ١٩٣٥ من عائلة متدينة، وتنقل بين حمام (سر جيمن) و حمام(نالي)قبل ان يستأجر حمام (سورت) من وكلاء عائلة عبد الكريم ملكة وبعدها استمر ١٦ سنة في مهنة الحمامجية قبل ان يتفرغ للعبادة في السنين الأربع الأخيرة من حياته حيث توفي عام ١٩٨٨ وترأس من عام ١٩٦٨جمعية الحمامجي في السليمانية حتى وافته المنية وتسلم أبنه سركوت حاجي علي رئاسة الجمعية وهي هيئة تخاطب السلطات المحلية لتأمين مستلزمات عمل الحمامات المنتشرة في السليمانية من محروقات وأدوات تعقيم وتنظيف الحمامات والتعامل مع وزارة الصحة حينما يحدث طارئ عام. وقال: إن السليمانية اليوم شأنها شأن المحافظات العراقية الأخرى تزخر بالتراث والأصالة حيث الكثير من الحمامات مثل حمامات (شيخ مارف حمام، المفتي، وحمام سليمانية وحمام ، سيوان وحمام ،تازه، وحمام جواراباغ وحمام،كاوىوحمام،شيرين وحمام،سرجنار وحمام ،الشعب، وحمام بوسكان) يعود معظمها إلى ما قبل عام ١٩٧٥ لكن في الآونة الأخيرة تم بناء ثلاثة حمامات حديثة هي حمامات (زانكو، وخانقا، وشار) وهذه الحمامات مخصصة للرجال عدا حمام (المفتي) المخصص للنساء كما أن حمامات(جواراباخ، وعبد الله آغالي) تخصص أياما محددة في الأسبوع للنساء.

وعن الشخصيات التي دشنت هذا الحمام يقول (سركوت حاجي علي) شقيق سرور: ان حمام (سورت) يختزن في ذاكرته الطويلة ذكريات الشخصيات السياسية والاجتماعية التي زارته في يوما من الأيام فقد ارتاد هذا الحمام العديد من الشخصيات ومن كل الفئات الاجتماعية والسياسية واذكر منهم (عثمان باشا البابان، وعبد الكريم ملكة، والشيخ محمود الحفيد، وشيخ القادر الحفيد) وملا مصطفى بارزاني حيث كان يرتاده من عام ١٩٦٠ إلى ١٩٦٥ وبين عامي ١٩٧٠ الى ١٩٧٣،والشخصية الاجتماعية (فاقه مخمور) و(جمال آغا) والشعراء والأدباء والفنانين لأن الحمامات لم تكن موجودة في البيوت فكان الناس مضطرون الى زيارة الحمامات بين فترة وأخرى.

ـ ويضيف قائلا: ان عمل الحمامجية يبدأ يوميا من الساعة الخامسة صباحاً حتى الخامسة عصراً ويتراوح سعر التحميمة بين(٢٥) دينار عراقي للحمام الشعبي اما اذا كنت تريد حماماً خاصاً فإن السعر يرتفع إلى (٣٥) دينار.

وعن طبيعة الحياة وتأثيراتها في نمط الحياة الحديثة يعود بنا إلى الذاكرة سرور فيقول : لقد أثرت نمطية الحياة الجديدة في الجميع بشكل كبيرو على مهنة الحمامجية بشكل خاص فقد اختلف العمل في مهنة الحمامجية بين الماضي والحاضر وعلى ما أتذكر مع بداية الشهر التاسع إلى الشهر الرابع كانت الحمامات مكتظة بالزبائن والرواد القدامى له، وكان يعمل بكل حمام من ٣-٦ عمال مخصصين (للتدليك) إضافة إلى (منظفين وشخص أخر يدير النار)،ويضيف: أيام زمان لم تكن الحمامات موجودة في البيوت وكان الناس يعتمدون في الاغتسال على الحمامات المنتشرة بين الأزقة وحارات السليمانية لكن نمط الحياة الحديثة والمنازل الجديدة التي تتميز بوجود حمامات صيفية وأخرى شتوية جعل الإقبال يتقلص كثيراً ويقل عدد الزبائن يوماً بعد آخر ويختلف الإقبال على زيارة الحمامات من فصل إلى آخر ففي الصيف ونتيجة الحر الشديد ينخفض عدد الزبائن الى أقل من (١٠) لكن ذلك الرقم يرتفع إلى (٥٠) في الشتاء الذي يجذب الزبائن بسبب البرد القارس، إضافة إلى انه في الماضي كان لدينا زبائن دائمون في الحمام فمنهم من يأتي بشكل يومي وآخرون يأتون أسبوعيا وتبلغ عدد زياراتهم بين(٥٠٠)الى (١٠٠٠) في بعض الحمامات وهم يأتون على مدار العام في كل الفصول لكن في أيامنا الآن لا يوجد زبائن دائمين.

وأخيراً يقول سرور: إن الحمامات في السليمانية منها ما هو شعبي عام ومنها ما هو خاص فردي حيث كان حمامنا جماعيا حتى عام ٢٠٠١ لكن تمشياً مع رغبة الزبائن والرواد للحمام قمنا ببناء(١٤) حماماً فردياً لكن دون التغيير في الهيكل العام لحمامنا فالهيكل الداخلي للحمام لم نغير به شيئاً وإذا ما تسلمت دائرة الآثار باستطاعتها هدم كل الإضافات كي يعود الى هيكله الأصلي كما أن الأرضية التي بقيت كما هي ووضعت على وفق حسابات علمية أفضل بكثير من حسابات اليوم ولا نعلم كيف ستكون حال الحمامات في السنين القادمة ولكننا نشعر بالحنين إلى هذه الحمامات واعتقد أن أكثر الرواد والزبائن يرتادون هذه الحمامات لتعود بهم الذاكرة والحنين لأيام زمان التي لن تعود أبداً.

السليمانية في عيون أكاديمي عن الثقافة

د.فائق مصطفى

إذا كان أشهر تعريف للثقافة – وهو تعريف تايلور– الذي يحددها بأنها ذلك الكل الذي يشتمل على المعرفة والعقائد والفن والأخلاق والقانون والعرف وكل القدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان من حيث هو عضو في المجتمع، فاني اقصد بها هنا ما يخص الآداب والفنون والأخلاق والقيم الاجتماعية، اي الجانب الجمالي عند الإنسان، وهو واحد من ثلاثة تشكل أسس المدنية، الإيمان بالعقل والإحساس بالجمال والمقدرة على ضبط زمام النفس، وهذه الجوانب الثلاثة هي ما يعنيه ثالوث الفلاسفة الشهير نفسه (الحق والخير والجمال) يقول الدكتور زكي نجيب محمود "واهم ما يميز الجانب الوجداني من المتمدن في عصرنا الحديث هو التأثر بما ينتجه رجال الأدب والفن المحدثون، فأنت متخلف عن عصرك ومدنيته إذا لم تأخذ بنصيب–قليل أو كثير–في تقدير ما ينتجه هؤلاء الرجال من أدب وتصوير ونحت وموسيقى وتمثيل ورقص وغناء، مهما يكن عملك وموضوع اختصاصك، فقد تكون طبيبا او مهندسا او رجلا من رجال الأعمال، لكنك لكي تكون إلى جانب ذلك متمدنا فلا بد من إضافة عنصر آخر هو التمتع بنتاج الفنون" وفي الشعر عبّر عن هذا الجانب شاعرنا الرصافي في قصيدته المعروفة (الفنون الجميلة):

إن رمت عيشا ناعما ورقيقا
فاسلك إليّ من الفنون طريقا
واجعل حياتك غضة بالشعر والـ
تمثيل والتصوير والموسيقى
تلك الفنون المشتهاة هي التي
غصن الحياة بها يكون وريقا

في السليمانية لا يتأخر لقاء الإنسان بالثقافة، ولاسيما إذا كان مثقفا ونظرته إلى الأشياء عميقة، لأنه، منذ الساعات الأولى لوصوله إلى المدينة، يلقى الثقافة في كل مكان، وهي تبتسم له وترحب به وتعلن عن نفسها، وتدعوه إلى التمتع بثمارها اليافعة وانجازاتها الزاهية. وعندما يقترب الإنسان منها أكثر يراها تملأ الدروب ازهارا ورياحين، وتغني ألحانا عذبة وتعزف أنغاما منعشة وتعرض تمثيلا رفيعا وترسم لوحات ساحرة،الامر الذي يدفع المرء الى ان يهتف: صدق من قال إن السليمانية عاصمة الثقافة الكردية في العراق، وفي أنحاء كردستان كلها.

ان الثقافة في السليمانية تتجلى على نحو حي في مظاهر عدة منها:

اولا: انتشار الاشجار والحدائق واشجار التوت، وكان هذا محور مقالنا الأول في هذه السلسلة التي سميناها (السليمانية في عيون أكاديمي) حيث قلنا: فكما يميز السليمانية عن غيرها من المدن العراقية خضرتها وحدائقها الزاهية التي تقع عليها العيون في كل مكان في الساحات والشوارع والأسواق والأحياء والمدارس والمستشفيات وحتى الأزقة الضيقة، وما أن تقع عليها العيون حتى تدخل المسرة معها في القلوب وتسري البهجة في النفوس. والعلاقة واضحة بين الحدائق والأشجار والثقافة لان حب الخضرة مظهر من مظاهر الإحساس بالجمال الذي هو ينبوع الفنون.

ثانيا: الشعر في السليمانية هو الأمير والسيد والصديق والسمير لأغلب الناس المثقفين او غير المثقفين، فالناس يرددون الأشعار في مجالسهم وأسمارهم، والشعر نجده منقوشاً على جدران المقاهي والمطاعم والفنادق، كما أن أهم شوارع المدينة وأجملها يحمل أسماء لشعراء: شارع مولوي وشارع سالم وشارع كوران وشارع بيره ميرد..الخ، كذلك تنتصب شامخة تماثيل شعراء الكرد داخل أروقة حديقة الشعب وسط السليمانية. وفي الوقت نفسه هناك مدارس تحمل أسماء شعراء عرب مثل مدرسة الجواهري، وشاعر العرب الأكبر الجواهري تحبه السليمانية كثيرا وقد أقامت له تمثالا في مدخل شارع سرجنار تقديرا منها لدفاع الشاعر عن كردستان زمن محنتها في العهد المباد، لكن الشاعر الذي يحظى بأكبر تقدير وشعبية هنا في أيامنا هذه، هو الشاعر الكبير شيركو بيكه س الذي يعرفه الناس جميعا فهو عندما ينشد قصائده في المهرجانات والاحتفالات ينصت إليه الجميع بواسطة البث الإذاعي والتلفزيوني في البيوت والمقاهي والسيارات، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على عشق السليمانية للشعر والثقافة، الشعر الحقيقي الذي يجسد آلام الناس وأحلامهم وتطلعاتهم ويستوحي تراثهم الشعبي من الملاحم والحكايات وسير أبطالهم وعشاقهم. وهنا يحضرني ما رواه مرة المؤرخ الانكليزي المعروف (توينبي) عندما زار چزر ايسلنده حيث دخل مكتبة فوجد صيادا فقيرا يشتري ديوان شعر بثمن باهظ الأمر الذي أثار دهشته، وهذا ما جعله يعد ايسلنده ارقى دولة في العالم لوجود مثل هذا السلوك الثقافي الايجابي فيها. وعشق الكردي للشعر معروف وعريق وقد لفت أنظار الرحالة الأوربيين الذين زاروا كردستان في القرون الماضية،فمثلا يقول (ريچ) ان الكردي يتميز بـ(اخلاص ما له من فواق، والتزام بالكلمة وعطف على ذوي القربى ومعاملة ممتازة للمرأة، وذوق ادبي معقول، وحب للشعر واستعداد للتضحية واعتزاز جميل بالقومية والوطن.

ثالثا الصحافة: تعد الصحافة معلماً مهماً من معالم الحياة الثقافية والفكرية في المجتمعات المعاصرة لأنها خير واسطة لنقل وتجسيد الأنشطة الثقافية والفكرية كافة. وللصحافة تاريخ عريق في السليمانية فهي أول مدينة كردستانية صدرت فيها جريدة باللغة الكردية عام ١٩٢٢ وهي جريدة(بانكي كوردستان) صدرت بثلاث لغات العربية والفارسية والكردية. بعدها توالى صدور الصحف فيها وأهمها جريدة (زين) التي أصدرها الشاعر بيره ميرد في عام ١٩٣٩. والآن يصدر فيها عدد كبير من الصحف بين يومية وأسبوعية، ومجلات أسبوعية وشهرية ودورية بالكردية والعربية. وعلى نحو عام تؤدي الصحافة في السليمانية دورا كبيراً في المجتمع السليماني فهي تعكس إيقاع الحياة اليومية فيها وفي المدن الكردستانية الأخرى، بنشر أخبار وفعاليات المؤسسات الاجتماعية والسياسية، ونقد المؤسسات الحكومية، ومناقشة البرامج التلفازية والأنشطة الثقافية كافة، وتجسيد هموم الناس وتطلعاتها. من اجل ذلك صارت الصحف تحظى بإقبال الناس ومتابعتهم حتى صار منظر وقوف الناس في صفوف طويلة أمام الصحف المعروضة على أرصفة الشوارع، منظراً مألوفاً في المدينة، ومثله منظر الذين يقرأون الصحف والمجلات في الحدائق العامة ولاسيما حديقة الشعب في قلب المدينة. لكن منظرا آخر أتمنى أن أراه في السليمانية، منظر قراءة الناس للصحف وهم داخل باصات النقل العامة، وهو من المناظر المألوفة في المدن المتحضرة.

رابعا: الفنون الجميلة: تبدو آثار الفنون الجميلة من غناء ورقص وموسيقى ورسم ونحت وتصوير وتمثيل، في كل مكان هنا، فالدبكة الكردية تلك الرقصة الشعبية الجماعية، يكاد يعرفها الكل، وتؤدى عادة بأنغام الطبل والزورنا، ولها حضور واضح في الحياة الاجتماعية للكرد، وفي الاثار الادبية الكردية، كما نجد في مسرحية الدكتور نافع عقراوي (الهدية والجرح).

الراوية..قفوا..وأعلموني ما هذا الضجيج... ولماذا كل ذلك؟

شاب من المجموعة– تعال وشاهد

الراوية–ماذا أشاهد؟

شاب آخر–دبكتنا للراحة والسعادة والفرح والدبكة تفرح الروح

الدبكة تقوي الجسم.

ليس صعباً على الإنسان هنا أن يلحظ عشق الكرد للغناء والموسيقى، فالكردي عندما يسمع لحنا جميلا، تبدو عليه في الحال آثار الانفعال والطرب، من اجل ذلك غدت السليمانية زاخرة بعدد كبير من المغنين والمغنيات وفرق موسيقية عدة أهمها الفرقة السمفونية التي اشتهرت بتقديم حفلات موسيقية راقية، وصف لنا أحداها محمد الحمراني قائلا (في قاعة صغيرة امتلأت بالحضور الذين كان اغلبهم متعبين، ولكن حين عزفت الفرقة السمفونية ذهب التعب وانتعشت القاعة بالتصفيق. كانت مقطوعات لموسيقيين من القرن الثامن عشر، وأخرى من القرن العشرين توحي بمقدرة العازفين على التوغل في أعماق نوازع الموسيقى واصطياد ما هو مؤثر) أما مايخص المسرح فالدراما التلفزيونية مزدهرة في السليمانية، وتحظى باقبال كبير من لدن الناس، هناك فرق مسرحية عديدة تقدم عروضا فنية طوال ايام السنة وسنفرد مقالا خاصا للمسرح في هذه السلسلة (السليمانية في عيون أكاديمي).

ولعل أهم علامة من علامات العناية العظيمة التي توليها السليمانية للثقافة والفن هي إنشاء (قصر الفنون) الذي سيتم انجازه قريبا وهو صرح حضاري كبير (سيتحول إلى مكان لالتقاء الناس بالفنانين وتعريف الفن والتراث الكرديين بالأجانب أو تعريف التراث والفن الأجنبي بالشعب الكردي، إلى جانب ذلك فإن هذا المشروع سيلعب دورا مهماً في تعزيز أواصر العلاقات الثقافية ويدفع بعجلة الفن في السليمانية وكردستان عموما إلى الأمام) كما جاء في التحقيق الذي نشره شهاب القره لوسي في (الاتحاد) عن هذا القصر.

خامسا: المراكز الثقافية: في السليمانية عدد كبير من المراكز والمؤسسات والجمعيات الثقافية التي تقوم بفعاليات وأنشطة ثقافية وفنية وفكرية مثل إصدار مجلات وكتب وعقد مؤتمرات وندوات ثقافية، وهو امر ينشط الثقافة ويطورها. ومن هذه المراكز والمؤسسات الثقافية سردم وخاك وكلاويز وحمدي ومركز كردستان للدراسات الإستراتيجية..الخ.

وعلى نحو عام يلاحظ على الفعاليات والأنشطة الثقافية هنا أن هناك توازناً بين التراث والحداثة اذ هناك عناية كبيرة بالموروث الثقافي الكردي مثل جمع وطبع أعمال الشعراء القدامى والحكايات والملاحم التراثية ودراستها، والحرص على كل مكونات الفولكلور الكردي من تقاليد شعبية واغان وفنون وأزياء. اما الحداثة فتتمثل في العناية بالترجمة، ترجمة الآثار الفكرية والفنية المهمة لشعوب وحضارات العالم، والافادة من المستجدات في الفنون والعلوم.. الخ.وهذا هو عين الصواب لأن التقدم الثقافي– كما يقول الدكتور عامر حسن فياض– (هو وليد التفاعل بين الموروث الثقافي والمقتبس الثقافي، عليه فإن التخلف الثقافي سيتحدد بعدم التفاعل بينهما، او بكلمة ادق بفقدان التوازن الثابت بين المقتبسات والموروثات والمبتكرات).

وختاما أقول إن مستقبل الثقافة هنا سيكون مشرقا بفضل أجواء الحرية والديمقراطية التي يعيشها إقليم كردستان، وبفضل الرعاية الحكومية الكبيرة للثقافة، ولاسيما بعد توحيد الإدارتين في الإقليم، وتعيين مثقف معروف (روائي وصحفي) وزيرا للثقافة وهو الأستاذ فلك الدين كاكائي.

رحلة إلى السليمانية

خالد المعالي

لا أدري لمَ فكرت بفريد الأطرش، وأنا أجلس في مطار بيروت، بل صفرتُ لحنٍ أغنيته المشهورة قبل التوجه إلى المطار أصلاً... على الرغم من أنني لست من محبي سماع أغانيه، وإن حدث، فربما بسبب فكاهة ما، فأحزانه بالنسبة إليّ تبدو مائعة، ولا تلتقي بأحزاني.

لا تجد في البوابة ذكراً لخطوط «بساط الريح»، تنظر إلى قائمة الرحلات المغادرة، محتاراً... لهذا تجلس لبرهة، ثم دفعاً للقلق، تحاول أن تتحرك هنا وهناك، ثم تحاول أن تسأل: سيأتون، لا نعرف متى يأتون! فهذه الخطوط التي من المفترض أن تقلّنا إلى السليمانية موجودة، ولكنها غير موجودة أو غير معلنة، حيرتك تزداد وأنت تراوح مكانك، تحاول أن تتعرف في الوجوه إلى بلد ما، تهجس أفكاراً، ربما تسمع لغة أو لهجة... تتوجه بحقيبتك إلى المكان الذي قيل لك إن طيران «بساط الريح» يفتح عنده، هناك يتجمع بعض الأشخاص الذين سرعان ما يزداد عددهم... سمعك لا يخطئ لغتهم الكردية... تلك اللغة التي تعرفها بالسمع من العراق... أنت تنتظر... بعض من سألتهم أشار إلى جهات عدة. وقالوا لك: «إنها هناك». ولكنهم لم يكونوا هناك... في تلك الأماكن التي قيل لنا فيها بأنهم هناك، وعلى الرغم من أن الوقت أقل من ساعتين قبل وقت الإقلاع، فكرت أن رحلة «بساط الريح» هذه لن تحدث أبداً... وأنني عائد لا محالة إلى بيتي. كنت بمثابة المسافر المقنّع.

لكن في لحظة ما، جرى كل شيء بسرعة قياسية، وإذا بي أجلس بانتظار الصعود إلى الطائرة، أيضاً لا ذكر لاسم الشركة: بساط الريح، سوى الهدف النهائي والبلد. سوى أن اسم الرحلة يذكر في الإذاعة المحلية، الطائرة صغيرة الحجم من تلك الطائرات التي يخيفني الطيران بواسطتها، لكن الرحلة كانت عادية، وكأنني أطير، وكأنني أحلّق في تلك الطائرة بين مدينة كولونيا ومطار هيثرو في لندن ولم يُخفني حجمها الصغير، فرباطة جأشها حينما تكون في الأعالي تعيد إليك الطمأنينة وتدعك تنسى النوم، لأنك قررت أن تطير في ذلك اليوم. كانت قصص الطيران إلى العراق شمالاً أو جنوباً أو إلى بغداد جعلتني أحمل أكياساً من الإحباط والتردد. فالمعلومات عن التأخير والإلغاء والانتظار وكل أشكال سوء الخدمات، هي الميزة الأساسية، لكنني لم أجد من هذه الكوابيس تفصيلاً يستحق الذكر.

السليمانية: كم تغيّرت المدينة، زرتها عام ١٩٩٣، وذلك أيام البؤس والحصار والخراب. أعيد اليوم تجديد صور ذاكرتي، فبعدما كنت وصلتها آنذاك بواسطة السيّارة قادماً من ديار بكر عبر زاخو، دهوك وأربيل وعبر طرقات وعرة وملتوية وجسور مهدمة، ها أنا أصلها اليوم بالطائرة... وقفتُ خارج المطار أنتظر وصول الأصدقاء... البرد هذا أعرفه؟ فيه شيء خاص، ما إن وصل الأصدقاء حتى تعرّفت إلى المتغيّرات في وجوههم، فبدل شبح الظلام وخيوط التعب التي كانت تشدّ وجوههم، ها هي إشراقة أمل، بهجة بالكتاب وبالشعر، جلسنا وكأننا افترقنا البارحة وبدا الذين لم أكن أعرفهم سابقاً وكأنني أعرفهم سابقاً، ولم نترك كتاباً جميلاً لم نأت على ذكره، قديماً أو حديثاً، من الكتب التي قرأناها أو نشرتها ورأيت الأمل في وجه صديقي الجديد حينما أخبرته بأنني حصلت له على نسخة كاملة من مجلة يوسف الخال: «شعر»، ورأيت الغصة التي حاول أن يخفيها لأنني لم أحمل له المجلة في حقيبتي... لأن صديقي الذي تدبرها لي لم يسلمها لي في الوقت المناسب، صديقي الجديد هذا ليس شاعراً، انما هو مهندس، بنّاء، أحياناً يكتب، لكنه يفضل مهنة القراءة. في اليوم التالي قادني هذا الصديق إلى شوارع مدينة السليمانية القديمة، وكأنه أحس بلهفتي لمعاينة المكان، وفي شكل خاص معاينة بسطات الكتب والجرائد والمكتبات، كم تغيّر العالم، فصناعة الكتاب تغيّرت كثيراً وانحسرت المكتبات والبسطات التي تبيع الكتب والجرائد العربية وشهدت صناعة الكتاب الكردي تطوراً ملحوظاً وتعددت مجالاته، وبالطبع الحضور الكثيف هو للكتاب التجاري، فتجد مثلاً هناك كتيبات عدة شعرية صغيرة تحوي أشعاراً خاصة بالمراهقين والمراهقات وتخص استعمال الأس أم أس.

الكتب العربية تحضر ولكن في شكل قليل، لكنّ قديمها موجود، أما جديدها فلا تجده تقريباً إلا في معرض الكتاب السنوي، فهو هناك حاضر دائماً... لكن أصدقائي يفتقدون المجلات الثقافية، لم تعد تصلهم منذ أمد طويلة. المجلات الثقافية القديمة التي لا تزال تصدر ولا تلك الجديدة، أحياناً يحمل هذا المسافر أو ذاك. وبما أن المدينة تجدّد حالها، فالحياة لها إيقاعها، فبدل السجون تجد الفنادق والبيوت!

حتى اليوم الثاني كنت أحسّني وكأنني في بلد آخر، أي بلد آخر أزوره، بلد عربي أو غير عربي... لكنني فجأة وجدتني جالساً في غرفتي ودموعي تسيل، ها أنا في العراق مرة أخرى، الوجوه التي رأيتها، تلك السحنات، النساء المتشحات بالسواد أو تلك البقايا من ألوان كرديات الأرياف، تلك الألحان التي تصل من هنا ومن هناك، خصوصاً تلك الألحان القديمة التي تسحبنا إليها، تسحبنا إلى سراديب ذاكرتنا، كل هذا جعلني أجلس مرّة أخرى أمام هذه البلاد وأتأمل حياتي، وحينما قرأت قصيدة أمام جمهور عراقي هناك، أنا الذي نشر كتابه الشعري الأول عام ١٩٧٨ في العراق، انتبهت إلى أنها القصيدة الأولى التي اقرأها أمام الجمهور في العراق. كنتُ أراقب المشهد. أكثر من خمسين أديباً وأديبة من أجيال عراقية مختلفة ومن كل أنحاء العراق، في ندوات متواصلة، بالعربية والكردية، إنها الحياة الجديدة في العراق، وهي تدرج وتلتغ بكل ما لها وعليها، بكل ما تحمله من ماضٍ قاس وثقل وألم، بكل ما تحلم به، في شكل خاص. لم أكن أحضر الندوات في شكل مستمر، فشخصياً، على رغم أنه يهمني جداً أن أستمع إلى الحضور، لكن يكون كثيراً عليّ أن أتحمل الرثاثة التي أراها غالبة في أحيان كثيرة، رثاثة طاغية ولكنها رثاثة صادقة ومعبّرة عن واقع حال، هو خلطة بين طفح أدبي وصحافي وجهالة نامية، يفضلها الوضع العام السائد. لهذا كنت أفضل أحياناً نزهات أو جلسات إصغاء وحوار مع كاتب أو أكثر، لكي أتمكّن من معرفة لغة هذا أو ذاك. ذلك ان الإنتاج الأدبي في معظمه ما زال أسيراً لتلك التجريدية التي كانت آنذاك سائدة، فكل احتكاك أو تماس بالواقع، مهما كان بسيطاً، كان أمراً غير ممكن لأديب العراقي في ربوع «جمهورية الخوف». كان في إمكاني أن أرى الخيوط التي ترمز الى الفصل أو إلى الفواصل بين هذا وذاك... وهي تعطي حقائقَ مؤلمة عما ندعوه بالرؤية عند الكاتب. تقريباً قلّما تلمس شيئاً من هذا، لهذا تجد نفسك بعد فترة أيام قليلة لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة وقد عُدت إلى عزلتك، أحياناً تحاول أن تتلمس طريقك فتسير إلى

كنت أحسّني وكأنني في بلد آخر، أي بلد آخر أزوره، بلد عربي أو غير عربي... لكنني فجأة وجدتني جالساً في غرفتي ودموعي تسيل، ها أنا في العراق مرة أخرى، الوجوه التي رأيتها، تلك السحنات، النساء المتشحات بالسواد أو تلك البقايا من ألوان كرديات الأرياف، هذه الألحان التي تصل من هنا ومن هناك، خصوصاً تلك الألحان القديمة التي تسحبنا إليها، تسحبنا إلى سراديب ذاكرتنا،

مدن صغيرة هنا وهناك، ويقودك مصيرك إلى مدينة حلبجة، تريد أن تراها من جديد، مثلما رأيتها آنذاك عام ١٩٩٣، هناك تحاول استعادة المشهد من الزيارة السابقة، لم يبقَ في ذاكرتي إلا مشهد بقايا القنابل، وأحاديث من تبقّى منهم... تلك الوجوه الرثّة ومطحنة الحبوب تلك المصنوعة في الهند ربما عام ١٩٢٨. حاولت أن أصل من جديد إلى هذه المطحنة، لكنني لم أفلح بسبب الوقت، لكنني أفلحت في لقاء أشخاص هم بقايا من عوائلهم التي ذهبت بالغازات السامّة. لم أكن محتاجاً إلى رؤية صور الضحايا من جديد، فهي محفورة في ذاكرتي... مثل صور صبرا وشاتيلا... الألم أخذ صورة أخرى. أحاول أن أفهم في وجوه الناس الذين كنت ألتقيهم ما إذا كانوا يفهمون أن كل هذا الذي يحدث هو شيء طبيعي وهو من صنع الإنسان، لا فرق هنا بين هذا وذاك! الإجرام صفة متأصلة في البشر وتجدها متوافرة في شكل زائد عن الحاجة وعبر التاريخ!

مع صديقي حسين الموزاني الذي كان معي في أغلب أيامي هناك، استطعت أن أواصل حواري وأن أسمع صدى أفكاري في شكل عميق. فثمة مسافة متوافرة بيننا وبين الكوابيس التي أمامنا لكي نتأملها بطريقة معقولة.

من أجل العودة، تقرر أن أعود من طريق مطار أربيل، فلا توجد طائرة إلى بيروت في ذلك اليوم من طريق السليمانية، لهذا انطلقت صباحاً بالتاكسي عبر مدينة كركوك إلى أربيل. بالنسبة إلي، كانت هذه الرحلة خيالية ومتمناة، إذ أفسحت لي المجال لمراقبة الطريق ورؤية الطبيعة عبر ثلاث محافظات، هي: السليمانية وكركوك وأربيل. فمن المدينة التي رتبت نفسها في شكل معقول إلى مدينة كركوك حيث نجد البناء المستمر وبقايا الدمار الحاضر في كل زاوية، إلى أربيل التي يمكن أن نتصورها للوهلة الأولى وكأنها دبي مصغرة.

الألم في ساقي رافقني منذ بداية الرحلة... لم تستطع تخفيفه اللصقات والمراهم التي وجدتها في الصيدليات في السليمانية، لهذا طلبت من السائق المرور في بعض شوارع كركوك لكي اشتري لصقة تفيد في تخفيف الألم أو تشده قليلاً على الأقل. وأيضاً لكي أشبع نظري من المدينة... كنت في هذه المدينة عام ١٩٧٧، لمرة واحدة... أغلب الأدباء القادمين من هذه المدينة وأشهرهم أصدقائي

وأعتقد أنني نشرت لغالبيتهم... المهم وجدت الصيدلية ووجدت لصقة «أصلية» فيها، كما أخبرني الصيدلاني، وهي لصقة يصعب فصلها عن وجهها، ولكنها شدّت ألمي قليلاً طوال الساعات العشرين المقبلة.

كان المفروض أن أصل إلى بيروت في الثامنة مساء تقريباً، وهكذا كنت في مطار أربيل في الساعة الواحدة بعد الظهر، هناك أمضيت وقتي في مطالعة المجلات الأدبية والكتب التي حملتها معي، في محاولة مني للفرز... وكانت المحاولة مفيدة، فقد مرّ الوقت سريعاً وتخففت من بعض الأثقال... لكنني اكتشفت أن الرحلة إلى بيروت قد ألغيت... على الرغم من أن مكتب السفر سلّمني بطاقة الطائرة في اليوم نفسه. بقيت للوهلة الأولى حائراً، وتذكرت بسرعة كل ما قرأته عن الرحلات التي تلغى من العراق وإليه... حاولت هنا وهناك بلا جدوى... بقيت حائراً، ومعي بالطبع جمع لا بأس من المسافرين! موظف ما، استطاع أن يخبرني أن الرحلة قد ألغيت اليوم، وغداً لا توجد رحلات، وبعده أيضاً... وذلك بسبب خلافات بين مديريات الطيران المدني هنا وهناك... ولن يعود الطيران إلا بعد حلّ هذه الخلافات.

في قائمة الطائرات المغادرة ثمة طائرة متوجهة إلى عمّان، في الخامسة صباحاً... ثمة أماكن فارغة، وهكذا كان عليّ العودة مجدداً إلى المطار في الثانية صباحاً، وسنحت لي الساعات المقبلة بأن ألتقي مجدداً صديقي الشاعر الكردي فرهاد بربال، الذي كلما قرأت له نصاً أضحك وأستغرب كيف لم أتعرّف إليه في باريس. في أربيل، التقينا في فندق يسمّى «فندق الفوانيس الأربعة»... وهناك حظيت بمشهد من مشاهد المجتمع العراقي الجديد. خلطة راقبتها من بعيد من دون أن تفوتني أحياناً قليلة الفرصة في تجاذب أطراف الحديث مع هذا أو تلك. فرح صغير في داخلي، ربما هو مجرد فرح طفولي لا غير.

في السادسة صباحاً كنت في مطار عمّان، هناك سمعت من يناديني باسمي... شخص ما، لم أتعرّف إلى ملامحه، لا أعرف ماذا كان يريد مني ولا ماذا يعمل ولا أعرف أين تعرفت إليه، ربما كان من الوجوه التي نراها وننساها في اللحظة نفسها، الوجوه التي لا تحمل معنى ولا تترك أثراً، في ما بعد رأيته مع آخرين يسيرون في اتجاه الطائرة نفسها، التي ستقلني إلى بيروت.

مقهى الشعراء في السليمانية
خارطة للجدل الثقافي

عبد الحسين بريسم

الشعراء يحتلون السليمانية. فكل شارع منها يحمل اسم شاعر معاصر وآخر من الماضين بالجسد والباقين بالإبداع. شارع الشاعر سعيد، شارع الشاعر كوران وآخر لبيكس.

وساحات تحمل أسماء الشعراء، ونصب في كل حديقة وكل منطقة لشاعر كردي. ترى من أين يأتي الشعراء. لكي أعرف ذلك اتجهت إلى مقهى الشعراء في قلب مدينة الجمال والطبيعة الساحرة والحركة المستمرة، إلى هناك رافقني صديقي الشاعر الكردي أوات حسن أمين لندخل معا إلى مملكة الإبداع مقهى الشعراء والغاوين معا في مدينة كل ما فيها من الشعر وإليه. في البدء كان المقهى عبارة عن مكان ضيق تحت سلّم إحدى البنايات وفي المكان الحالي ذاته. من هذه الفسحة الصغيرة بدأت خطوات أسطة شريف الجايجي وسنة بعد أخرى أخذ المقهى يحتل مساحات أوسع حتى أصبح يشمل الطابق الأسفل من البناية وأسهم في ذلك ازدياد رواده من الشعراء الذين أخذ المقهى منهم اسمه، إن جميع أدباء وفناني كردستان عموما والسليمانية خصوصا كان المقهى يجمعهم خاصة أيام الجمع، فيه يتبادلون الآراء، والكتب والقصائد وأسهمت مكتبة السليمانية القديمة والكبيرة القريبة من المقهى في إيصال جميع الكتب والجرائد والمجلات العربية والصادرة في بغداد إلى أيدي الأدباء في المقهى. والتي كانت -المكتبة- هي المصدر الوحيد والمهم في توفير كل ما يحتاجه الأديب من الثقافات العربية في المدينة.

أهم رواد المقهى من المبدعين

مقهى الشعراء في السليمانية مشابه جدا للمقاهي الأدبية الأخرى في العالم ولكنه توأم مقهى الشابندر ومقهى حسن عجمي في بغداد. وقد ضم بين أركانه أهم المبدعين الكرد على مدار أكثر من نصف قرن. ومن هؤلاء الشاعر الرومانسي الكبير أحمد هردي والشاعر القومي ديلان. والشاعر كامبران مكري، والشاعر الكبير شيركو بيكس. والقاص المعروف رؤوف بير كرد والأديب المعروف عبد الله جوهر. فضلا عن جميع الفنانين الكرد على رأسهم رفيق جالاك ورؤوف يحيى. وأساتذة ونقاد كبار مثل الدكتور إحسان فؤاد والدكتور عبد الرحمن حاج معروف. فضلا عن الروائي الكبير إبراهيم أحمد والذي حول منزله الخاص إلى كاليري زامو ليحتضن إبداعات الفنانين التشكيليين ومعرضا دائما للفن التشكيلي الكردي وهو مفتوح للزوار والفنانين على مدار أيام السنة.

معارك أدبية ومعارك سياسية

لعبت المقاهي الأدبية دورا مهما في تطور حركة الأدب العراقي وذلك لما تجمعه من اتجاهات ومدارس مختلفة في جغرافية المقاهي والحال مع مقهى الشعراء في السليمانية هو الحال ذاته مع المقاهي الأدبية الأخرى. وقد شهد الكثير من المعارك الأدبية والإبداعية حول العديد من الأفكار والتحولات ومنها المعارك المستمرة حول التجديد في الشعر الكردي بين المحدثين وأصحاب الشعر الكلاسيكي. وصدرت في المقهى أغلب البيانات التجديدية في الشعر والفن. ولم يقتصر ذلك على الإبداع والإشكاليات وإنما شهد المقهى مناسبات عديدة وعمل من خلال تواجد المبدعين على أن يكون همزة الوصل بين المناضلين والأدباء في داخل المدينة وثوار الجبل أيام النضال ضد الدكتاتورية وكانت أغلب البيانات والمنشورات السرية تصل إلى الجانبين -الثوار والمدنيين- من خلال مقهى الشعراء وصاحبه الذي يقوم بإيصالها من والى -الثوار والمدنيين.

معرضان للصور والكتاب

مقهى الشعراء -الشعب- وبعد أن امتدت إليه يد الإعمار من قبل الدولة والحكومة في الإقليم أصبح الآن أكثر اتساعا وجمالا وما تجده من مئات الصور للمبدعين الكرد وهي تزين جدران المقهى، صور لأدباء قدماء وآخرين من أجيال تلت أجيالا. فهنا صورة شاعر شاب تجاور صورة شاعر من المرحلة الأولى للشعر الكردي وصور أخرى لفنانين ومفكرين وفنانين وأيضا بعض أهل السياسة الذين خدموا الحركة الأدبية في إقليم كردستان مجموعة الصور هي بانوراما حقيقية تعطي صورة واضحة، أن هذا الشعب يقدر كثيرا رموزه الأدبية. عرفانا واعترافا بما قدمه هؤلاء من إبداعات، فضلا عن معرض الصور هنا جناح -مكتبة- كبيرة تضم أغلب نتاجات الأدباء الكرد- من شعراء وقصاصين- ومفكرين وفنانين- أهدوا نتاجهم إلى مكتبة مقهى الشعراء تقديرا واحتراما لهذا المكان الذي جمعهم على الأدب.

صورة اليوم وصورة الأمس

لقد كان المقهى قبل انتفاضة العام ١٩٩١ مهملا جدا وكان مكوناً من بناية قديمة بالية، ولكن بدأ الاهتمام به منذ ذلك الحين وفي سنة ٢٠٠٣ جرت على المقهى والبناية حملة إعمار وترميم شاملة وعلى نفقة الرئيس طالباني الخاصة ورئاسة إقليم كردستان وشمل الإعمار إكساء الجدران بالحجر وتزيينها بالمرايا والإضاءة ووسائل الراحة كافة ما جعل المقهى يليق بمستوى الأدباء الذين هم صورة البلاد الجميلة وأصبح المقهى مكانا جميلا يحترم فيه الأديب والفنان.

ومن الجدير بالذكر أن كل الأدباء في إقليم كردستان لديهم رواتب مجزية من قبل الحكومة فيها وأخيرا نطلب من الحكومة المركزية أن تحذو حذو حكومة كردستان وتعطي أدباء العراق جميعا حقوقهم وان تولي اهتماما.
خاصا بهم.

حي الأدباء وساحة الحرية

يتمتع الأدباء والفنانون في إقليم كردستان وخاصة في مدينة السليمانية بالكثير من الامتيازات وهم يستحقون ذلك وأكثر ومما عرفناه في جولتنا في أروقة مقهى الأدباء أن حكومة إقليم كردستان قد أولت الأدباء الاهتمام البالغ وخصصت لكل مبدع قطعة أرض سكنية مع سلفة من أجل توفير سكن لائق للمبدع الكردي فضلا عن تخصيص راتب شهري للجميع يتراوح بين (٢٠٠-٣٠٠) ألف دينار بغض النظر عن تجاه ووظيفة ومنجز ذلك المبدع. ناهيك عن أن أغلب الأسماء الكبيرة في المشهد الإبداعي الكردي تحمل أسماء أهم وأكبر الشوارع في المدينة فضلا عن نصب وتماثيل لهم في الساحات والأماكن السياحية. هذا ما حدثني به الشاعر أوات في ساحة الحرية القريبة من مقهى الأدباء. تلك الساحة المقابلة لوزارة الداخلية وفي الساحة يمكن لك أن تقول وتنتقد من تشاء من العامة والسلطة والحكومة والبرلمان.

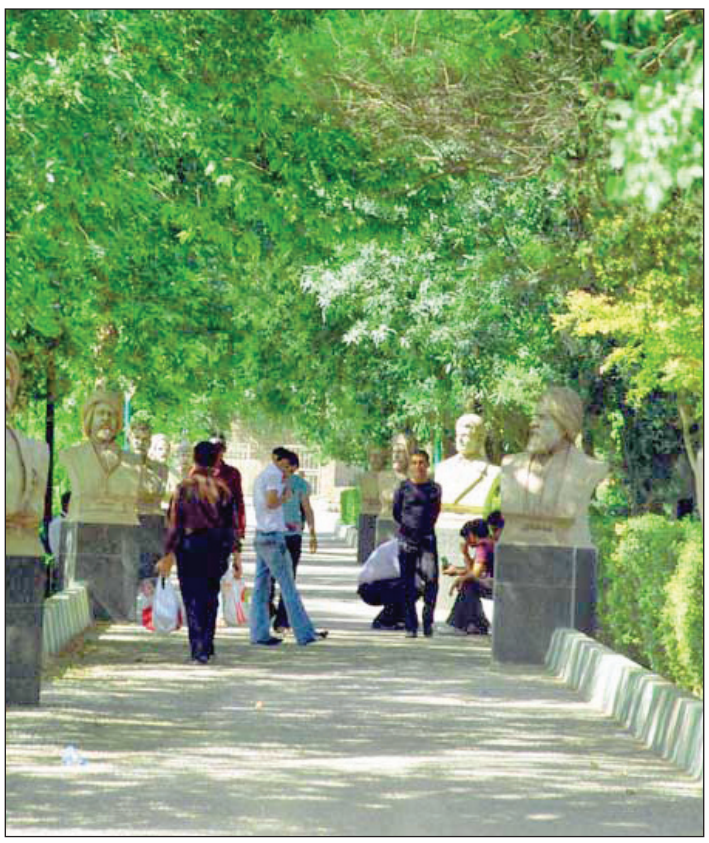

إمارات كوردية عريقة:

الإمارة البابانية .. تنقلت في كوردستان لأكثر من ستة قرون

نارين صديق مام كاك

إن أسرة الإمارة البابانية كما جاء في كتاب (شرفنامه) 1596م، لمؤلفه (شرفخان البدليسي) تنحدر من الأمير (بوداق ببئي) وأخيه. والجد الأكبر لهم هو(بابا قباد). وبحسب رأي (حسين حوزني موكرياني) فإن الأمير (بوداق ببئي) هو المؤسس الرئيس للإمارة البابانية، وهو من أطلق اسم بابان على منطقة نفوذه. ويرى الأستاذ المرحوم (محمد جميل روزبياني)، أن لفظة (ببئي) متطورة من(بابائي)، وهو اللقب الروحي الخاص بالقديسين الكاكائيين الذين دعوا فيما بعد بأهل الحق، وصحف بمرور الزمن إلى (بابان). ويذكر الأستاذ (روزبياني) أن العلامة (توفيق وهبي) سأله وأشعره عن منشأ لقب بابان فأجابه: أنهم يرجعون في الأصل إلى بابا أردلان.

ومما لابد من الإشارة إليه أن كلمة (أردلان) مأخوذة من(أردل) بمعنى سائس الخيل، وهي محرفة من (عادل– عادلان) اسم الجد الأكبر للأردلانيين الذي لجأ إلى شرق كردستان من شمالها، أيام حملة جنكيز خان المغولي.

(بابان) أسرة عريقة، أشارت إليها دائرة المعارف البريطانية (الانسكلوبيديا) لسنة ١٩٥٠ في مادة (الكرد–Kurd) بأن تاريخها يعود إلى ما قبل ميلاد المسيح، كما يؤكد ذلك كتاب آخر باللغة الفارسية عنوانه (تاريخ وجغرافية كردستان– سير الأكراد)، تأليف (عبد القادر رستم البابانى)، فقد ورد فيه أن هذه الأسرة اشتهرت في المنطقة الكردية، سواء كان ذلك من حيث العدد، أم النواحي الأخرى في أيام حكم ملوك (كيان) و(أشكانيان)، وأن هذه العشيرة كانت من أكثر عشائر الكرد عددا وعدة، وقد ورد في مصادر تاريخية عديدة أن كرد شهرزور كانوا ذوي سلطة وسيطرة على بلادهم، سواء كان ذلك من قريب أم من بعيد، بل كانوا أقوياء بحيث أنهم تمكنوا من الاستيلاء على الحدود القريبة من همدان، وكرمنشاه أيام حكم (اردشير بابكان) الذي امتد من عام (٢٢٦م إلى ٢٤١م).

كان البابانيون يحكمون في إيران (أطراف مريوان وسنندج– وهي مدن كردية) قبل حوالي أكثر من ثمانمائة سنة، وان آثارهم التي تركوها هناك، بخاصة (المسجد الأحمر)، لهو شاهد على ذلك. كما يشير البدليسي في كتابه (الشرفنامة) إلى إحدى الحروب التي خاضها والده (الأمير شمس الدين) جنبا إلى جنب مع القوات البابانية بأمر من السلطان العثماني، وهذا الحدث الذي يعود تاريخه إلى أكثر من خمسمائة سنة، يؤكد أن البابانيين كانوا قبل هذا التاريخ من ذوي النفوذ والسلطة في المنطقة.

صفات وخصال البابانيين

إن أبناء هذه الأسرة شأنهم في ذلك شأن أبناء الكرد يتسمون ببعض الصفات التي قد تميزهم عن غيرهم من الشعوب، منها الشجاعة والبسالة والاستقامة والإخلاص وعزة النفس والكبرياء المفرط لدرجة الغرور والغطرسة أحيانا، وتمسكهم بالدين، ويظهر ذلك في توجههم صوب رجال الدين الذين كانوا يضمرون لهم كل الود والاحترام، وما قيامهم بإنشاء الجوامع في جميع أنحاء كردستان إلا تأييد وتثبيت لهذا الواقع. كما إن البابانيين كانوا مولعين بالفروسية، واستعمال السلاح، والرياضة في الزورخانة والملعب والمصارعة وغيرها، و إن الصفة الأبرز بين البابانيين هي احترامهم الشديد للمرأة، وخاصة زوجاتهم، وعدم التزوج بأكثر من واحدة إلا نادرا، لذا برزت نساء من بين الأسرة البابانية ممن لعبن دوراً كبيراً في الحياة الاجتماعية وخاصة في خدمة الضعفاء والفقراء.

الحدود الجغرافية لبلاد بابان.

إن البلاد البابانية كانت واسعة للغاية قبل أيام والي بغداد(سليمان باشا الكبير)، وكانت تمتد حتى زنكباد ومندلي وكانت أربيل والتون كوبري خاضعة لنفوذها أيضا.

إن الحدود الجغرافية للإمارة في عهد الإمارة البابانية، كما رواه المستر(ريج)، ونقل عنه المرحوم محمد أمين زكي في كتابه (تاريخ السليمانية وأنحائها) تبتدئ من حدود بغداد وكما يلي: (الداوودة ويبدأ على بعد أربع ساعات من كفري، دلو، زنكنه، كوم، زنداباد، شيخان، نورة، جمجمال، جياسور، كوجماله، شوان، جبوق قلا، عسكر، قلاسيوكه، كردخير، بازيان وانحاء قره داغ والذي يشمل باني خيلان، سرجنار، سورداش، مركه، بشدر، كلاله، شنيك، ماوه ت، آلان، سيوه يل، سرآو، ميرآو، بالخ، كابيلون، بازار، بركيو، سروجك، كولعنبر، حلبجه، شميران، قزلجة، ترتول، قره حسن، ليلان(.

مراكز الإمارات البابانية

انتقلت مراكز الإمارة البابانية قبل استقرارها في مدينة السليمانية بشكل نهائي بين أماكن عديدة، وكانت أهم المراكز لها:

× مدينة مريوان : اتخذت هذه المدينة مركزاً للإمارة البابانية بتاريخ (١٢٠٢م– ١٣٩٦م)، وذلك في عهد الأمير حمزة البابانى وما بعده من الأمراء.

× مدينة درياس: خلال حكم الأمير سيف الدين الموكري.

× مدينة أورميه: في زمن حكم الأمير صارم سيف الدين الموكري.

× مدينة سابلاخ–مهاباد: أيام حكم الأمير بوداق بن شير بك.

× مه ركه: وهي قرية كبيرة تابعة لمحافظة السليمانية حالياً، ولكنها كانت مركزا للإمارة البابانية حوالي سنة (١٥٩٦) م.

× داره شمانه: وهي قلعة كبيرة من (قلعة دزه)، وكانت مركز الإمارة في عهد (فقي احمد)، مؤسس الأسرة البابانية الأخيرة، واستمر فيها الحكم حتى سنة (١٦٠٨) م.

× ماوه ت: مركز الناحية التابعة لشهربازار في السليمانية حاليا، والذي كان مركزاً للإمارة من سنة(١٦٠٨– ١٦١٩)م.

× قلعة بكراو: الذي استمر فيه الحكم حتى العام(١٦٢٧)م.

زيارة الملك فيصل الثاني مدينة السليمانية

محمد ابراهيم محمد

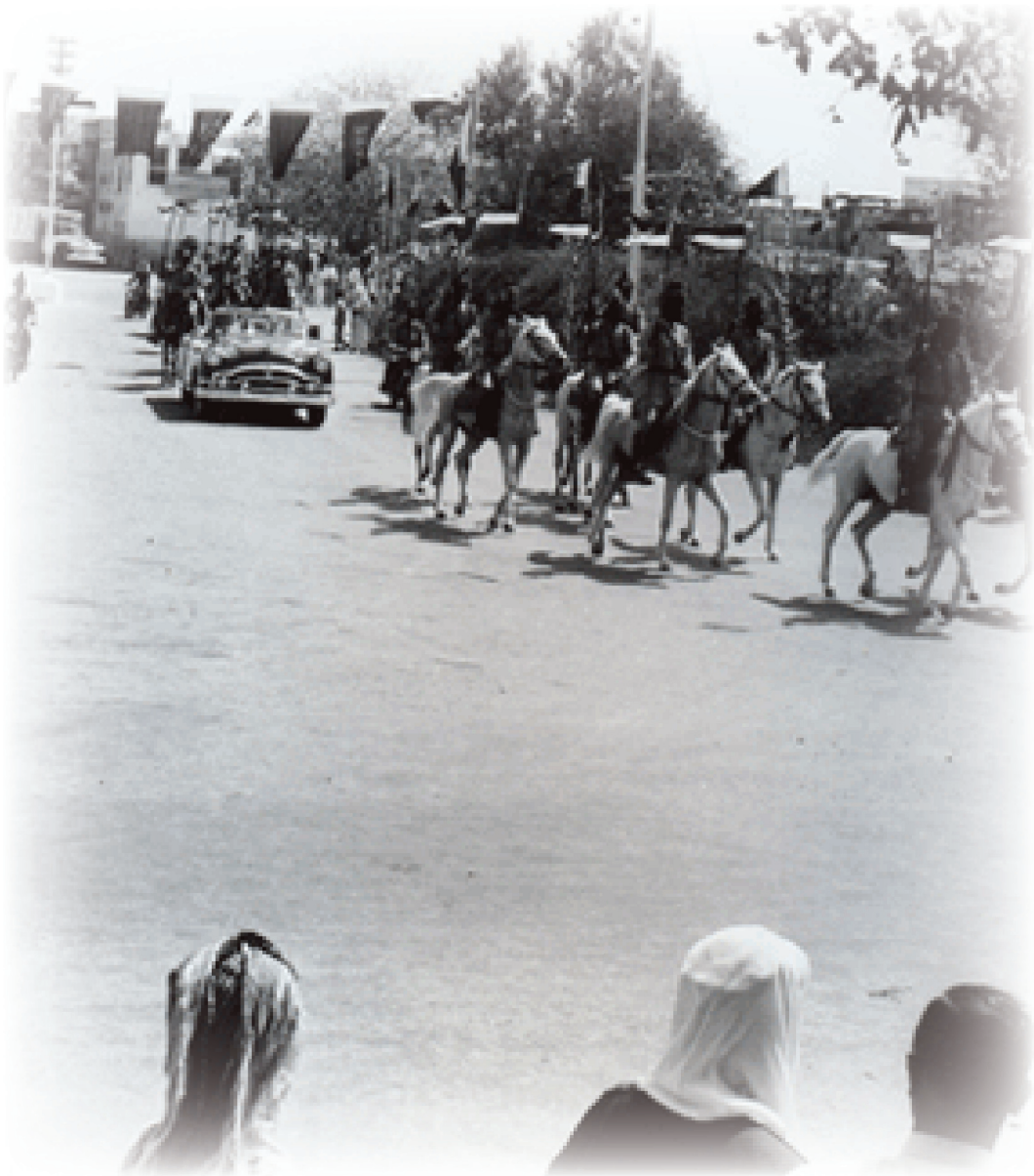

بعد أن ضاق (إبراهيم باشا بابان) ذرعا بمركز الإمارة البابانية السابقة في (قلعة جوالان) لضيقها ووقوعها في بقعة منزوية خلف جبل (كويزة)، ولقربها من الحدود الإيرانية وتعرضها لهجماتها المستمرة، قام بإنشاء مدينة السليمانية سنة(1784) م، الذي يعد من أهم الأحداث العمرانية في الفترة التي حكم فيها المماليك العراق. لقد قدم البابانيون خدمات كبيرة للوطن، ولهم جانب مشرق ومشرف من الحضارة

× قلعة جوالان: اتخذت مركزاً للإمارة في فترة حكم محمود باشا، ذلك بين عامي(١٦٦٩-١٧٨٤)م.

× مدينة سنه- سنندج: عاصمة كردستان الإيرانية، في عهد كل من سليمان باشا ببه، ونسله محمد باشا وغيرهم وكان تاريخ حكمهم بين السنوات (١٧١٩م -١٧٣٠م).

× السليمانية: مركز الإمارة منذ إنشاء المدينة وحتى سقوط الإمارة البابانية بين السنوات (١٨٤٧- ١٨٥٠)م.

خدمات وآثار البابانيين

بعد أن ضاق (إبراهيم باشا بابان) ذرعا بمركز الإمارة البابانية السابقة في (قلعة جوالان) لضيقها ووقوعها في بقعة منزوية خلف جبل (كويزة)، ولقربها من الحدود الإيرانية وتعرضها لهجماتها المستمرة، قام بإنشاء مدينة السليمانية سنة(١٧٨٤)م، الذي يعد من أهم الأحداث العمرانية في الفترة التي حكم فيها المماليك العراق.

لقد قدم البابانيون خدمات كبيرة للوطن، ولهم جانب مشرق ومشرف من الحضارة، فقاموا بأعمال جليلة لخدمة العلماء ورجال الدين، وعوضوا إماراتهم عما أصابتها في الحروب بان أنفقوا أموالاً كثيرة في بناء المدارس، والمساجد في كردستان، والاهتمام بها و إصلاحها، كما انشأوا المكتبات في جميع أنحاء البلاد، وخاصة مكتبة (قلعة جوالان)، التي انتقلت فيما بعد إلى الجامع الكبير في السليمانية، إضافة إلى إنشاء مكتبة في كل جامع. وقد نال الأدباء والشعراء والأطباء الشعبيون والفنانون احترام البابانيين الذين كانوا يمدون يد العون والمساعدة لهم دائما، ويظهر ذلك من شعر شعراء فحول أمثال (الملا خضر نالي) و(الحاج قادر كويي) و(الشيخ رضا طالباني) و(مصطفى بك الكردي). كما اهتموا بالصّناع الماهرين وأرباب الحرف والمهن والفنون الذين برزوا في منطقة السليمانية، وكانوا حريصين على وقف ممتلكاتهم غير المنقولة على الجوامع والمدارس الدينية والجهات الخيرية الأخرى فلم يطمع أحد من الأمراء البابانيين يوما في امتلاك الإقطاعيات الزراعية أو جمع الأراضي والعقارات إسوة بما قام به غيرهم من ذوي السلطة أو المنزلة لدى العثمانيين من الرؤساء أو الشيوخ، خاصة بعد سقوط الإمارة البابانية.

أسباب سقوط الإمارة البابانية

إن السبب الرئيس لسقوط الإمارة البابانية وبقية الإمارات الكردية هو عقد معاهدة ارضروم الأخيرة بين إيران والدولة العثمانية، فلم تبق حاجة حقيقية لبقاء استمرار الإمارة البابانية، والتي كهلت هي بدورها، وحملت معها أسباب زوالها، فأوعزت الأستانة، إلى (نجيب كويزلكي) بتفنيذ ما استقر عليه الرأي و إبعاد آخر أمير وهو (احمد باشا) إلى الأستانة. ومن ثم نفي جميع البابانيين إلى تركيا احتياطا للأمر، ولكي لا يفكر أحدهم بإعادة الإمارة أو إحيائها من جديد.

ومن الأسباب الأخرى لسقوط الإمارة، هو قيام بعض الأمراء البابانيين بإنشاء جيش عصري كامل العدة والعدد، والاستعانة بالخبراء الأجانب من الروس والفرنسيين لتنظيمهم وتدريبهم، وفتح معامل لصنع الأسلحة والمعدات والذخيرة الحربية، وذلك ولد شعوراً بالحذر لدى ولاة بغداد والأستانة خشية استفحال الأمر، فأسرعوا إلى إلغاء الإمارة. كما أن سوء الأوضاع الاقتصادية للإمارة نتيجة للأوضاع السياسية غير المستقرة، خاصة في فترة من حكم الإمارة، وتخلي العشائر الكرّدية عنها مثل عشيرة الجاف، كلها ساهمت في نهاية الإمارة البابانية.

المراجع:
× (بابان في التاريخ ومشاهير البابانيين)، جمال بابان، ١٩٩٣.
× (تأريخ الإمارة البابانية)، حسين ناظم بك

بعد تتويج الملك فيصل الثاني ملكا للعراق واعتلائه عرشه في عام ١٩٥٣ قام بزيارات شخصية أولا إلى جنوب العراق وبعدها قام بالتوجه إلى الوية شمالي العراق وزار لواء السليمانية بتاريخ (١٥/ تشرين الثاني /١٩٥٥) من القرن العشرين الماضي، ومضى على هذه الزيارة التاريخية مدة ثلاثة وخمسين عاما، وعند وصول موكب الملك فيصل الثاني إلى مدينة السليمانية حيث استقبل استقبالا قل نظيره فقد نحرت الذبائح كلما اتجه الموكب الملكي الى داخل المدينة، وكانت حركة الموكب تنقل الى السليمانية من محطة لاسلكي أقيم في جمجمال ومراكز أخرى على طول الطريق ثم تذاع عن قدوم الملك فيصل على الجماهير المحتشدة في شوارع المدينة.

في منطقة (دربند بازيان) كانت في استقبال الموكب الملكي جماعة كثيرة من فوارس عشيرة الهماوند المشهورين بشجاعة رجالها وكان كل فارس يقف مترجلا الى جانب جواده يتقدمهم رئيسهم الشيخ محمود فهمي الهماوندي وكان وقوفهم الى جانب قوس النصر الذي أقاموه باسمهم وعندما مر الملك فيصل الثاني من تحت القوس نحروا ثورين كبيرين على جانبي القوس.

كان من أجمل مناظر الاستقبال في مدينة السليمانية منظر الألوف من طلاب المدارس في ملابسهم الرياضية والكشفية وطالبات المدارس اللواتي حملت كل واحدة منهن باقة من الزهور لنثرها على سيارة الملك فيصل الثاني وكانت أقواس النصر في المدينة تمثل صنوفا من الأهلين فهناك أقواس للخياطين والتجار والقصابين وأصحاب المقاهي وسواقي السيارات وأصحاب الكراجات ومزارعي التبغ وأهالي السليمانية والكسبة إضافة إلى قوس لأسرة التعليم وقوس البلدية وقوس الشرطة المحلية وقوس العلماء وقوس الأوقاف، وعندما كان الملك فيصل الثاني يمر بواحد من أقواس النصر هذه كانت الذبائح تنحر أمامه.

كانت المدرسة النموذجية الابتدائية هي مدرسة مختلطة للبنين والبنات حيث تقدمت اصغر تلميذة إلى الملك فيصل الثاني بباقة من الزهور فلاطفها الملك وسألها عن اسمها ودروسها فأجابت بما يدل على ذكاء ونباهة واسم الفتاة(دل ارام عزيز حمود وهبي) وهي كريمة مدير معارف لواء السليمانية.

في الحفلة التي أقيمت في دار الضيافة في مدينة السليمانية ألقى الملك فيصل الثاني كلمة أمام الميكرفون أعرب فيها عن تأثره وشكره العميق لما لمسه من محبة الشعب وولائه وأبدى عظيم امتنانه لمظاهر التقدم والازدهار في مدينة السليمانية ثم نهض وزير الداخلية سعيد قزاز فألقى كلمة الملك فيصل الثاني على الحاضرين مترجمة إلى اللغة الكردية وبعده ألقى السيد فائق هوشيار رئيس البلدية كلمة بليغة باللغة العربية عرض فيها ما تعانيه مدينة السليمانية من مشاكل وأهمها توفير مجالات العمل الدائم لأبنائها عن طريق تأسيس المعامل والمصانع وأزمة دور السكن والمشاريع العمرانية والصحية وكذلك أسهم خطباء الجوامع في الترحيب بالملك فيصل الثاني ففي السليمانية القى خطيب وامام الجامع الكبير قصيدة عامرة قيمة في قرية (كوزه ره ق) ثم ألقى أمام وخطيب القرية كلمة ترحيبية وقد بلغ عدد الذبائح التي نحرت في هذه القرية إحدى وعشرين ذبيحة.من الجدير بالذكر ان الملك فيصل الثاني افتتح مدرسة الصناعة الجديدة بمفتاح ذهبي صيغ خصيصا لهذه المدرسة وقد أثنى جميع أهالي السليمانية على همة متصرف السليمانية الزعيم الركن عمر علي لما يبذله من الحفاظ على الأمن والنظام في هذه المدينة.

انتفاضة السليمانية بزعامة الشيخ محمود الحفيد 1930 - 1931

د. سروة اسعد صابر *

إن أحداث ٦ أيلول في السليمانية أدت بالحركة الكردية الى السير في خط مواجهة للسياستين العراقية والبريطانية ورفع دعوات ومطالب كردية أخرى تدعو الى الاستقلال بعيدا عن سلطة وسيطرة الحكومة العراقية.

أهالي الضحايا في السليمانية قد زاروا الشيخ محمود في مقره بإيران، واشتكوا من تفاقم الاوضاع وطالبوا بالثأر لذويهم وحثوا الشيخ على النهوض، موضحين أن الكرد ينتظرون فرصة كهذه لإنصاف حقوقهم.. ويبدو أن الحكومة العراقية قد خشيت أن تترك هذه الأحداث ردود فعل لدى الشيخ محمود فبعث وزير الداخلية في ١٠ أيلول رسالة تحذير إلى الشيخ لافتا نظره فيها إلى حادثة السليمانية ويرجوه بأن لا يتأثر بدعايات الغير وان يتجنب ما يمس السكينة والأمن العام وان يحافظ على اتفاقه السابق مع الحكومة العراقية الموقع في كانون الثاني ١٩٢٧. ومن جهة أخرى أشارت وزارة الدفاع في كتاب لها إلى أن وزير الداخلية بتاريخ ١١ أيلول ١٩٣٠ إلى تغييب الضباط الثلاثة محمود وحميد جودت وكامل حسن وقد أصدرت السلطات العسكرية أمرا بالقبض عليهم.

وحول تحركات الشيخ محمود فقد ذكر تقرير بريطاني أن الشيخ ترك بيران يوم ١٥ ايلول ودخل العراق بخلاف بنود اتفاق عام ١٩٢٧ ولكن التقرير يشير أيضا إلى انه ومنذ ذلك الاتفاق فان خرق هذه البنود كان يتم من قبل الشيخ وكان يتم التغاضي عنه لان الظروف السياسية كانت مستقرة.

إلا أن التحذير لم يحد من حركة وتنقل الشيخ الذي استمر في التوجه نحو قلادزة متعذرا بقيامه بزيارة سلمية لغرض تقديم التعازي لزعماء بشدر، وفي ٢٤ ايلول كان الشيخ بالقرب من قلادزة. وكان الشيخ محمود قد بعث في ١٧ أيلول رسالة احتجاج إلى المندوب السامي البريطاني يحتج فيها على قيام الجيش العراقي بارتكاب المجازر والفظائع في السليمانية بحق الكرد بشكل لم يسبق له مثيل في كردستان وخاطب الشيخ المندوب السامي، مؤكدا: مع استحالة تعايش الكرد والعرب سوية بعد ذلك وان صبر الكرد نفذ بسبب هذه الفظائع المرتكبة بحقهم من قبل العرب وفي النهاية طالب الشيخ باسم الكرد تحريرهم وفصلهم عن العرب ووضعهم تحت الحماية البريطانية. وقام المندوب بدوره بإرسال نسخة من الرسالة الى رئيس الوزراء نوري السعيد مقترحا عليه عدم الإجابة عليها إلى حين عودة الشيخ الى مقره في بيران.

طلب المندوب السامي من نوري السعيد اطلاعه على الرد قبل إرساله إلى الشيخ واقترح أيضا أن يتضمن الرد، من بين أشياء أخرى التأكيد على تآخي الشعب العربي والكردي وكذلك ابعاد مسألة الاستقلال الكردي عن افكار الشيخ محمود والإشارة إلى أن رفاه الشعب الكردي مرتبط برفاه وازدهار العراق ككل والتعاون مع الحكومة العراقية وليس ضدها.

وفي ٣ تشرين الاول ١٩٣٠ وبينما كان الشيخ محمود في إحدى القرى في منطقة بشدر بعث رسالة يطلب إجراء لقاء مع المفتش الإداري للواء السليمانية ولكن طلبه هذا رفض وفي اليوم نفسه قدم كل من بابكر اغا وعباس محمود اغا من زعماء بشدر التماسا مماثلا ولكنه رفض هو الآخر أيضا.

وحسبما ورد في تقرير المفتش الاداري في السليمانية في ٢ تشرين الاول ١٩٣٠ عن تحركات الشيخ محمود فقد كانت الانباء لدى المفتش الاداري، بأن الشيخ محمود سيعود الى مقره في بيران وتظاهر للمتفش بأن الأزمة تم تجاوزها، وخاصة بعد لجوء الجانب الكردي إلى الاستعانة برفع العرائض والاحتجاجات إلى العصبة والتي جرى تسلمها من الجهات المختصة، مما أعطى إلى الجانب البريطاني نظرة تفاؤلية إلى الأمور.

وأشار التقرير ذاته إلى إرسال محمود رسالة ثانية إلى المندوب السامي عن طريق المفتش الإداري في السليمانية، وكان يحوي طلبا ثانيا عن اجراء لقاء مع ضابط بريطاني لافتا الانتباه إلى وحدة الكرد في العراق، ومقدما مطالب أخرى كذلك علق التقرير على وجود معلومات عن لقاء بين الشيخ محمود ورؤساء بشدر من النوع الذي يخفف من مخاوف اندلاع اضطرابات سريعة، وأضاف التقرير ان دعوة الشيخ الى التسليح المباشر بين عشائر بشدر قد قوبل برفض تلك العشائر البدء بخلق اضطرابات ولكنهم من جهة اخرى قالوا بأنهم سيشاركون في حالة ما اذا قامت قبائل اخرى بالبدء بالقتال، وقد جاء التفسير البريطاني لهذا الموقف بأنه موقف حذر مألوف لبابكر اغا بشدري.

وعلى العموم فقد حصل الشيخ محمود بالنتيجة بعد جولته التي قام بها في مناطق ثشدر على التأييد الرسمي من قبل اغلب زعماء القبائل الأقوياء هناك.

اما بخصوص الرسالة الثانية التي بعثها الشيخ محمود الى المندوب السامي أشار فيها مرة خرى الى احداث ٦ ايلول، مبينا انه وبعد الجرائم والاضطرابات التي حدثت في السليمانية على يد العرب والتي قتل فيها الناس بالرشاشات وأبيد فيها الكرد وحرقوا فان التعاون والتضامن بين القوميتين سيكون مستحيلا، وان الكرد بعد هذا اقسموا بشرفهم القومي أن يحصلوا على حقوقهم الشرعية، لذلك يطالبون بصوت واحد تشكيل دولة كردية من زاخو الى مابعد خانقين، تحت الانتداب البريطاني وتطرق الشيخ الى مطالبته فيما سبق باجراء لقاء مع احد الموظفين المسؤولين البريطانيين لشرح قضايا الكرد ومشاكلهم ولتجنب الحوادث المؤسفة ولكن لم يتم الاستجابة لطلبه هذا.وبناءً عليه طلب الشيخ في رسالته المذكورة من المندوب السامي ارسال مسؤول بريطاني الى قضاء شارباذير للالتقاء به وبزعماء عشائريين في مكان يرونه هم (البريطانيين) مناسبا لمناقشة التفاصيل مضيفا بأن لقاء من هذا النوع لن يخلو من منافع تخدم المصلحة والسلام العام موضحا بأن اية اقتراحات حول تلك الاوضاع ستؤخذ بنظر الاعتبار ما امكن.

وفي الوقت نفسه قدمت مضبطة وقعت من قبل شيخ محمود وسبعة وعشرين زعيما ثشدريا تضمنت مطاليب مماثلة لتلك التي وردت في مضبطة النواب الكرد التي قدمت الى عصبة الامم بتاريخ ١٠ تشرين الاول، مثل خلو المعاهدة الجديدة من الاشارة الى حقوق الكرد ومطالبة الاخيرين من زاخو الى خانقين بحقوقهم التي تم الرد عليها بالقتل والسجن والنفي، كذلك عدم إمكان أن تعيش القوميتان (العرب والكرد) متحدتين.

وتلخصت مطالبهم بـ:

١.ان تخلى كوردستان بحدودها الطبيعية من زاخو الى خانقين من ادارة العرب الملكية. والعسكرية وان تسلم الى الكورد.

٢-الى ان يرد قرار نهائي من عصبة الامم يجب ان تؤسس حكومة كردية تحت انتداب بريطانيا وحسب رغائب الأهالي.

٣.إطلاق سراح المعتقلين الكرد على الفور.

٤-أن يسلم الضباط الكرد وموظفو الكرد الملكيون المستخدمون الآن في الإدارة العربية إلى الإدارة الكردية بالسرعة الممكنة.

وبعد اطلاع المفتش الإداري للواء السليمانية على هذه المطالب اقترح:

١-وجوب عدم النظر الآن في مسألة إرسال موظف بريطاني لمقابلة الشيخ محمود.

٢-أن يساق معتقلو الكرد إلى المحاكمة بدون تأخير.

٣-إرسال إنذار إلى الشيخ محمود وفي حالة عدم الامتثال له يجب على الحكومة أن ترسل حملة عسكرية الى شاربازير.

أثبتت هذه الرسائل والمطلب الكردية وخاصة ما يتعلق منها بالشيخ محمود عدم انسحاب الشيخ عن ساحة الأحداث كما كان متوقعا ففي تقرير مؤرخ في تشرين الاول ١٩٣٠ اوضح الجانب البريطاني بأن رحلة عودة الشيخ إلى مقره في ثيران لا يمكن وصفها بانسحاب او هزيمة سريعة له كما كان متصورا لدى المفتش الإداري وعدم عودته إليه يجعله في موقف مخالف للاتفاق الذي دعاه إلى مغادرة العراق.

وعلى أية حال وضعت التطورات الجديدة هذه الكرد من جهة، والموقف العراقي من جهة اخرى امام تحديات، تمثل الكردي منها بإصرار الكرد على التمسك بمطالبهم مع انتقاد مستمر وشديد لسلوك الجيش والشرطة العراقية تجاههم في يوم ٦ أيلول.

ففيما يتعلق بالعرائض التي بادر الكرد بتقديمها للعصبة ذهب الجانب البريطاني إلى القول بضرورة تجنب تقديم توصيات حول الخطوط العريضة للسياسة المستقبلية المعتمدة على رد العصبة عليها (العرائض(.

واتضح أيضا بأن تحركات الشيخ محمود ونشاطه المستمر آنذاك اوجب الانتباه لديهم ولاحظ الجانب البريطاني ايضا عدم استعداد العشائر الكبيرة للقيام بالمبادرة الاولى في اية انتفاضة رغم انه حذر من بروز معارضة او ردود فعل كردية اذا ماتم شن حملة عسكرية قمعية مرتقبة.

وعليه اقترحت ثلاث خيارات بخصوص التعامل مع الشيخ محمود:

١.ألا يتم عمل شيء.

٢-أن تنظم قوة عسكرية لمهاجمة الشيخ.

٣-منح الشيخ فرصة إجراء لقاء.

فبالنسبة للخيار الأول علق الجانب البريطاني بانه تمت تجربته وظهر عدم نجاحه وحول

الخيار الثاني فقد وجد بأنه خطر من حيث تأخر الفصل اي قرب حلول فصل الشتاء ومن حيث خطورة انهاض قادة العشائر في وقت هم يميلون فيه إلى المحافظة على الهدوء أو أن يقوم الشيخ نفسه عندها بالرد بشن حرب الانصار اما الخيار الثالث فقد وجد وكخطوة اولى، ضرورة ان يلبى طلب بابكر اغا وعباس محمود اغا في منح فرصة للقاء معهما وعندها يكون من الممكن توجيههم لغرض استخدام نفوذهم اكثر مع الشيخ محمود في حملة اما على قبول العودة الى ثيران او الاستقرار في قرية قريبة من السليمانية حيث يمكن ان يكون هناك تحت مراقبة اكثر وعند ذاك سيتم اخباره بانه سيكون مسؤولا عن اي اضطراب قد تشهده السليمانية وكان يؤمل ايضا اقناع الشيخ واتباعه بانتظار قرار العصبة حول شؤون الكرد وعدم تجاهل سلطتها والتي حسبما ذهب اليه الجانب البريطاني ستساند اية خطوة قد تتخذ من قبل الحكومتين العراقية والبريطانية مضيفا بأن اي عمل متسرع قد يتخذ من الكرد لن يلحق الضرر إلا بقضيتهم.

ومن جهة أخرى أرسل وكيل وزير الداخلية رسالة إلى وزارة الخارجية حول إبعاد الشيخ محمود إلى خارج الحدود العراقية، وأوضحت الرسالة بأنه وبالرغم من الإنذارات المتكررة الموجهة إلى الشيخ من المندوب السامي ووزارة الداخلية ووكيل متصرف لواء السليمانية بالخلود إلى السكينة وعدم الإخلال بشروط اتفاقية عام ١٩٢٧ إلا أن هناك معلومات وإشارات دللت انه مازال باقيا في الأراضي العراقية ويتجول بين العشائر الكردية باثا دعاياته.. وطلبت الرسالة من السلطات المختصة لزوم تشديد الأوامر لحث الشيخ على مغادرة الأراضي العراقية وإجراء ما يلزم من عمليات استطلاع جوي بالاتفاق مع القوات الجوية في قاعدة الهنيدي في معسكر الرشيد في بغداد بالإضافة إلى محاولة التنسيق مع المفوضية الإيرانية في بغداد ومفاتحتها بهذا الشأن لاتخاذ ما يلزم من التدابير لإبعاد الشيخ عن الحدود العراقية حالما يدخل الأراضي الإيرانية ثانية.

اما الحكومة العراقية فقد أرسلت إنذارا الى الشيخ محمود بوجوب ترك العراق واتضح بعد ذلك عدم مثوله لهذا التحذير، وكان وزير الداخلية جميل المدفعي قد بعث برسالة إلى الشيخ محمود في ٢٠ تشرين الأول ١٩٣٠ دعاه فيها إلى عدم المضي في تحركاته تلك التي وجدها معادية للحكومة العراقية، مذكرا إياه ببنود اتفاقية عام ١٩٢٧ التي نصت على سكن الشيخ محمود وعائلته في قرية خارج الحدود العراقية وألا يتدخلوا في ادارة الحكومة العراقية في لواء السليمانية أو غيرها وتجنب الأمور السياسية المتعلقة بالعراق وقد دعاه الوزير الى ضرورة العودة الى مكانه خارج حدود العراق وتسليم الضباط الكرد الثلاثة الذين فروا من الجيش العراقي والتحقوا به، وذكر الوزير الشيخ بحركاته وتجواله في جهات لواء السليمانية وإنها تهدف إلى إثارة الاضطرابات وان الحكومة ستتخذ التدابير ضده وإتباعه مع مصادرة أملاكه إذا لم يعد إلى مقره في بيران.

والى جانب ذلك بعث المندوب السامي إلى الشيخ محمود طلبا بمغادرة الأراضي العراقية والإيفاء بشروط اتفاقية ١٩٢٧ التي تضمنت شرطا بعدم دخوله الى العراق دون موافقة الحكومة وعدم التدخل في ادارة الحكومة العراقية للواء السليمانية او غيرها بأية طريقة وعدم تشجيع الغير على ذلك وتجنب الامور السياسية الخاصة بالعراق، واشار المندوب السامي الى تجاهل الشيخ لانذاراته وانذارات وزير الداخلية في كتابيهما السابقين المؤرخين ٢٠ ايلول ١٩٣٠ وكذلك مخالفة لامر وكيل متصرف السليمانية الذي دعاه في رسالة له في ١٨ ايلول الى مغادرة العراق وفي النهاية حذره من العواقب التي قد تنجم عن هذه المخالفات.

ومن جهة أخرى استطاع الشيخ محمود ان يحصل على تأييد لا يستهان به وخاصة من فئة المثقفين في السليمانية الذين استهجنوا إجراءات الجيش والشرطة في ٦ أيلول وساهمت لجنة الدفاع عن الشعب الكردي، في حشد التأييد للشيخ محمود في حركته هذه.

وكذلك أرسلت العديد من الالتماسات الكردية الى عصبة الأمم من قبل زعماء كرد وشخصيات دينية في الالوية الكردية حتى شملت بعض الزعماء الكرد في ايران وكانت تدعوا الى انشاء دولة كردية برئاسة الشيخ محمود، وتعكس تأييدهم له، وقد وصل تأثير ذلك الى الكرد في لواء الموصل ايضا حيث ابلغ المساعد الاداري في الموصل المندوب السامي بأن معظم رؤساء القبائل في لواء الموصل أعطوا مساندتهم لقضية الشيخ محمود..

وعلى أية حال.. فبعد حصول الشيخ محمود على التأييد السياسي في السليمانية ومنطقة ثشدر، اخذ انصاره منذ تشرين الاول ١٩٣٠ بشن هجمات ضد قوات الحكومة العراقية بسرعة لمعالجة تحركات الشيخ محمود، فمنذ ٢٢ تشرين الاول والى ٢٧ منه تم توزيع ثلاثة ألوية من الجيش في السليمانية ثم تم تعزيزها بقوات أخرى تقدر بخمسة ألوية وستمائة من قوات الشرطة المتحركة والتي تم تسليحها لمواجهة هذه الحركة وتوضح بأن الثلاثة أرباع الجيش العراقي قد تمركز في لواء السليمانية.

ومن جهة أخرى وجهت الحكومة نداءً الى اهالي السليمانية ذكرت فيه ان الشيخ محمود قد نقض العهد وان كل من يلحق به يعرض نفسه للعقاب الشديد.

وفي الرابع من تشرين الثاني ١٩٣٠ طلب رئيس الوزراء من المندوب السامي البريطاني في العراق التعاون، بالإيعاز إلى القوة الجوية الملكية البريطانية بالتهيؤ لإلقاء القنابل على المنتفضين قرب ثنجوين وان يرسل احد الضباط البريطانيين لتولي قيادة حامية السليمانية وسرية من الجيش الليفي. وفي حقيقة الأمر، فان السلطات البريطانية في البداية لم تكن راغبة في اتخاذ خطوات فعالة ضد الشيخ محمود وأتباعه، وان المندوب السامي المؤقت في العراق بروك بيهام كان قد علل هذا الموقف على أساس عدة اعتبارات منها انه وبعد توقيع معاهدة ١٩٣٠ مع العراق كان من سياسة السلطات البريطانية ترك مسؤولية حفظ الأمن الداخلي وخاصة في كردستان بنحو أساس للحكومة العراقية وألا تتدخل القوات البريطانية إلا إذا ساءت الأمور فتساند حينئذ القوات الحكومية، وبان ذلك كان جزءا من سياسة بريطانيا لإعداد العراق للاستقلال إضافة إلى انه لم يكن من السهولة على السلطات البريطانية أن تقرر الإجراءات التي ينبغي اتخاذها ضد الشيخ محمود في البداية على أساس أن تحركاته كانت متاخمة للحدود الايرانية عن عمد لاجل التمكن من العبو الى داخل ايران عندما يضطر إلى ذلك وان سلسلة الجبال الوعرة كانت تجعل استخدام الطائرات عديم الفائدة أثناء تحركات الشيخ محمود في المناطق الحدودية.وفيما يخص العمليات العسكرية فقد عسكرت قوة عراقية على مقربة من بايانان على ضفاف نهر سيويل في ايلول تشرين الثاني، وفي ١٤ منه تعرضت لهجوم القوة الكردية، ثم تحركت قوات عسكرية بمعاونة سرب من طائرات القوة الجوية الملكية الى قرى مثل مرانة وسوينك وبيرة بسبب ورود اخبار عن وجود الشيخ محمود فيها مع بعض اتباعه ورغم عدم عثورهم على احد منهم فقد احرقت بيتان من بيوت الأهالي ممن كانوا أتباع الشيخ، وفي حقيقة الأمر فان قوات الشيخ محمود اتبعت أسلوب حرب العصابات، فلم تدخل في مواجهة مع القطعات العسكرية، بل كانت تشن غارات ليلية على مخافر الشرطة ومعسكرات الجيش وعليه انسحبت قطعات عسكرية إلى السليمانية في ١٨ منه.

وفي ٢٣ تشرين الثاني قامت كيبة من قوات الشيخ محمود مؤلفة من مئتي شخص بمهاجمة ثنجوين وأرسلت الحكومة العراقية اثر ذلك كتيبة من القوات العراقية بالتعاون مع سلاح الجو البريطاني للاستيلاء على ثنجوين ثم قام أتباع الشيخ بعدها بنقل نشاطهم إلى سورداش فأرسلت الحكومة كتيبة عسكرية اهرى الى هناك للتعامل معهم.. وحدثت اشتباكات صغيرة وفي إحداها بتاريخ ٣ كانون الاول فقدت القوات العراقية بعض القتلى والجرحى.

وفي ٨ كانون الاول هاجمت قوات الشيخ موضعا قرب قرية حاجياوة فهرعت القوات العراقية لانجاد مخفر شرطة سورداش على مسافة ٣٦ ميلا شمال غربي السليمانية وفي ١٧ منه وبناء على طلب وزارة الدفاع العراقية قامت القوة الجوية الملكية البريطانية بتسعة طلعات لغرض الاستطلاع.

وبهذا الشكل اتضح بأن الحركة بلغت سرعتها القصوى والخطيرة في المناطق التي كانت تحدث فيها العمليات العسكرية وكان الشيخ محمود وانصاره يعرفون المنطقة بشكل جيد مما مكنهم من شن حربهم وتفادي القوات الزاحفة في اغلب الأحيان.

وعودة إلى تطورات الانتفاضة على الساحة الكردية، فقد اعلم متصرف السليمانية الحكومة في رسالة له بتاريخ ٩ كانون الثاني ١٩٣١، عن اهم تطورات الانتفاضة، ذاكرا أن الشيخ محمود قد احتل بمئة فارس منطقة باغي كون وان عددا من أتباعه يبلغون نحو مئة شخص قد تمركزوا في قرى شه شيك، به سيفا، زه رون، امورا وميرزاكور واماكن اخرى على نهر زلم، ووجد انه من المستحسن جدا القيام بعملية جوية ضد هذه القرى حيث يمكن رؤيتها وانه بخلاف ذلك فان الوضع سيستمر في التدهور.

وفي رسالة أخرى له يقترح إرسال طائرات على قرى ومناطق مثل شه شيك والضفة اليسرى من نهر زلم واضاف بان الشيخ قد عاد باتجاه خورمال وباني شار.

استطاع الشيخ واتباعته الاستيلاء على خورمال وتم اسر (سبعة وعشرين) من قوة الحراسة كذلك تم الهجوم من قبل المنتفضين على مركز شرطة شاندر الذي كان يحوي المنتفضين.

عن كتاب كردستان الجنوبية السليمانية 2006

السليمانية..

بيروت كردستان العراق وعاصمتها الثقافية

مدينة تشبه أهلها الذين منحوها هويتها وأسلوبها وشخصيتها المميزة عن باقي مدن العراق .

المباني الحديثة زحفت من قلب السليمانية حتى سفوح جبالها السليمانية وفي هذه الجولة، تعمدنا التوقف في «لاليش» حيث معابد اليزيديين؛ الدين الذي اختلف فيه كثير من الباحثين الذين حملوه أكثر مما يجب من العناوين الغريبة.

هنا صور وخرائط عن «العراق الجديد». عندما أعلنت مضيفة طائرة الخطوط الجوية العراقية عن قرب هبوط الطائرة في مطار السليمانية الدولي وبالتطلع إلى المدينة من الجو بدت مثل ثريا كبيرة مضيئة وكان السؤال: أين وكيف يمكن لهذه الطائرة أن تهبط؟ فالجبال تحاصرها وتسوّرها بسياج صخري، والعمران اتسع وتتداخل بحيث لم يترك مساحة لهبوط طائرة بهذا الحجم، لكن المطار هناك، يختبئ بين المدينة والجبل، والأحياء السكنية التي امتدت حتى البوابة الخارجية للمطار.

فحتى عشر سنوات خلت كان نظر المرء يتسع للمشهد العام لمدينة السليمانية لصغر مساحتها وقلة عمرانها، أما اليوم وعند النظر إلى المدينة من قمة جبل أزمر الذي يحتضن السليمانية، فيحتاج إلى وفرة من الوقت كي يدقق في أرجائها التي اتسعت، بل اتسعت كثيرا.

وحسب الصحافي الكردي محمد عثمان فإن "البناء والإعمار كان محرما على أهل هذه المدينة من قبل النظام السابق، وكان ممنوعا على الكردي في أي مدينة كردية أن يبني غرفة إضافية في بيته، أو أن يتوسع في عقاره، والشارع الذي يحيط بالسليمانية اليوم كان بمثابة الأرض الحرام التي لا يستطيع أن يصلها أي مواطن، وإذا ما أخطأ أي شخص وتجاوز الخطوط الحمر التي كانت قد فرضتها القوات الأمنية في عهد الرئيس العراقي الأسبق صدام حسين فإن رشقات من الرصاص تستقبله بكل كرم".

ويضيف الصحافي الذي يترأس تحرير الصحيفة الإلكترونية «الإنصات المركزي» الصادرة عن مكتب الإعلام المركزي للاتحاد الوطني الكردستاني الذي يتزعمه الرئيس العراقي جلال طالباني: «الخطوط الحمر كانت مفروضة في كل شيء وعلى كل شيء، حتى إن مديرية أمن السليمانية، والتي كان مجرد ذكرها يزرع الرعب في نفوس الناس، كان الناس يسمونها باللغة الكردية (أمنه سوره كا) وتعني الأمن الأحمر، نسبة إلى الدماء التي أهدرت في داخلها، وطابوقها الأحمر الذي بُنيت منه، فقد كان الداخل إلى هذه البناية مفقودا تماما، ونادرا ما خرج منها معتقل أو حتى مشتبه به. هذه البناية تحولت اليوم إلى متحف يخلد الشهداء الذين تم تعذيبهم وإعدامهم فيها، ولعرض حقائق الاضطهاد الذي كان يعاني منه المواطن الكردي في ظل النظام السابق".

لكن المدينة تتمدد اليوم وتسترخي على مساحات شاسعة للغاية، فمن جهتَي الجبال زحفت الأحياء السكنية حتى السفوح العالية، فشرقا بُنيت أحياء راقية على سفح جبل أزمر، والأحياء تداخلت وتشابكت لتكون نسيجا من البيوت الجديدة التي تحيط بمركزها القديم.

يقول مسؤول حكومي في محافظة السليمانية: «كان لا بد للحكومة المحلية أن تمنح المواطن أبسط حقوقه وهو حق السكن بعد أن كان محروما من التملك والبناء لهذا تم توزيع الأراضي السكنية على المواطنين وكذلك عوائل شهداء الثورة الكردية، لهذا تشاهد هذا الاتساع في البناء، فالعائلة التي كانت تعيش في بيت واحد مع أبنائها وزوجاتهم انشطرت إلى عوائل عدة وبيوت متعددة".

السليمانية التي تعد ثانية أكبر مدينة في إقليم كردستان العراق بعد عاصمة الإقليم أربيل، تقع شمال شرق العراق (٣٥٥ كلم شمال شرق العاصمة بغداد)، متاخمة لإيران التي تحدها من الشرق، وترتفع عن مستوى سطح البحر ٢٨٩٥ قدما، ومحاطة بسلسلة من الجبال، حيث يقع جبل أزمر (يبلغ ارتفاعه مترين و١٧٠٠ متر) وجبل طؤيذة (ارتفاعه ١٥٢٤ مترا) شمال شرقي المدينة، بينما يقع جبل برانان (ارتفاعه ١٣٧٣ مترا) في جنوبها ويمتد سهل شهرزور غربي المدينة، أما جبل ثيرة مه طرون فهو يضم أعلى قمة في المحافظة ويقع شمال غربي المدينة.

وحسب تاريخ المدينة، فإن البابانيين (نسبة إلى عشائر بابان الكردية) فكروا في إنشاء مدينة السليمانية كبديل عن مركز إمارتهم في قرية قلاجوالان التي تحولت في ما بعد إلى معقل لمقرات الاتحاد الوطني الكردستاني.

وما دفعهم إلى التفكير في بناء مدينة معاصرة هو نمو الحركة الثقافية ولغرض توسيع نفوذهم، وكي تصبح رمزا للثقافة ومركزا لسلطتهم بعيدا عن تأثيرات الفرس والأتراك الذين كانوا يتقاتلون عند وهكذا بدأ الأمير البابانى إبراهيم باشا، بعد سيطرته على السلطة ببناء السليمانية عام ١٧٨٣ كمدينة صغيرة في قرية ملكدني، وأطلق عليها تسميتها الحالية (السليمانية) نسبة إلى اسم والده سليمان باشا أحد أمراء سلالة بابان. وقد تحولت السليمانية خلال القرنين التاسع عشر والعشرين إلى مركز للثقافة القومية والحركات السياسية الكردية، وأرضا خصبة لتوالد الثورات الكردية المتتالية.

السليمانية مدينة تشبه أهلها، فقد منحوها هويتها وأسلوبها وشخصيتها المميزة عن باقي مدن إقليم كردستان خصوصا، والعراق عموما، فهي العاصمة الثقافية للأكراد، وتعد مركزا هاما للهجة السورانية الكردية، وينحدر منها الكثير من الكتاب والروائيين والفنانين التشكيليين والموسيقيين. ففي هذه المدينة، دون غيرها من المدن الكردية، تجد أن الثقافة امتزجت في حياة الناس وصارت جزءا من أشيائهم اليومية وضروراتهم الحياتية وذلك من خلال انتشار الكتب التي تباع فوق أرصفة الساحة الرئيسية لمركز المدينة قبيل شارع المكتبات الذي يضم أيضا محلات لبيع الآلات الموسيقية التراثية والمعاصرة. والأهم من هذا أن هذه المدينة تضم واحدة من أهم المؤسسات الثقافية الكردية، «دار سردم» التي يترأس مجلس إدارتها الشاعر الكردي المعروف عالميا شيركو بيكس، أو كما يفضل أن يكتب اسمه باللغة الكردية (شيركو بيكه س) والتي من أوليات مهامها «نشر الإبداع الكردي باللغة الكردية وترجمته إلى اللغتين العربية والإنجليزية، وكذلك خلق التواصل الثقافي الكردي العربي»، سواء عن طريق الفصلية الثقافية «سردم» الصادرة باللغتين الكردية والعربية، أو من خلال عشرات الكتب التي تخرج عن هذه المؤسسة التي يتوسط واحد من أهم شوارع السليمانية (شارع سالم).

بدخول إحدى مكتبات المدينة والسؤال عن عنوان كتاب باللغة العربية يتحمس صاحب المكتبة ويجيب باستفاضة بأن اسم مؤلف الكتاب كذا وله عدد من المؤلفات، وأن الكتاب الذي نسأل عنه هو طباعة بغداد، ثم يدلنا على مكان وجوده، في «مكتبة الشعب» التي تحتل ركنا في مقهى المثقفين، «مقهى الشعب»، وسط سوق السليمانية. وداخل المقهى يجد الزائر صور الشعراء والكتاب الأكراد تزين جدران المقهى الذي يلتقي فيه عادة غالبية من المثقفين الأكراد.

غيرَ بعيدٍ عن هذا المقهى القديم يقوم محل «أوسكار» الذي يضم روائع الموسيقى والغناء العربي والكردي، ونوادر التسجيلات لأغاني أم كلثوم وعبد الوهاب وعبد الحليم حافظ وفيروز إلى جانب الأغاني الكردية الهورامية والكلاسيكية والمعاصرة.

إن أهالي السليمانية يعتزون بوصف مدينتهم مركزا ثقافيا، فهنا قامت أولى دور العرض السينمائي في هذا الجزء الحيوي من العراق، وللأسف انحسرت هذه الدور العريقة لتقوم مكانها أسواق تجارية وفنادق فخمة. بينما لا يزال المسرح ودور العرض التشكيلي تقاوم مغريات الغزو التجاري. إحدى هذه الدور هي سينما «سيروان» التي تهرأت واجهتها حيث جلس أربعة من كبار السن يلعبون الدومينو عند مدخلها الذي لم يعد يزدحم بالمشاهدين، قال أحدهم وكان يعمل قاطع تذاكر للسينما: «لقد ذهب مجد هذه السينما التي كانت تشهد ازدحاما متواصلا لعرضها أفلاما متميزة، وكانت هناك أماكن وأوقات عرض خاصة للعائلات، أما اليوم فقد باعها أصحابها، وسيتم هدمها لتتحول إلى أسواق تجارية لكونها تقع في القلب التجاري للمدينة من جهة، ولم تعد مجدية اقتصاديا لأصحابها من جهة ثانية»، مشيرا إلى أن "هناك دار عرض سينمائي جديدة تم افتتاحها في مصيف سرجنار وتحمل اسم (سينما المدينة)".

ولعل ما أسهم في تكريس الدور الثقافي لمدينة السليمانية هو تأسيس جامعتها منذ وقت مبكر، إذ تم تأسيس جامعة السليمانية عام ١٩٦٨، والتي كانت تضم العديد من الأقسام والكليات العلمية والإنسانية التي كانت تدرس باللغات الكردية والعربية والإنكليزية، وفي عام ١٩٨٠ قرر نظام الرئيس العراقي السابق صدام حسين

معاقبة أهالي السليمانية فعمد إلى نقل جامعتها إلى مدينة أربيل تحت اسم «جامعة صلاح الدين»، لكن حكومة الإقليم أعادت للتعليم العالي في المدينة اعتباره، فأسست من جديد جامعة السليمانية عام ١٩٩١. بل كرست الحكومة الدور الجامعي للسليمانية فأسست الجامعة الأميركية عام ٢٠٠٧، وقبلها جامعة كويسنجق في قضاء كويسنجق التابع للمحافظة.

الجامعة الأميركية هي الإنجاز العلمي والحضاري الأحدث في المدينة، فهي اليوم تزدحم بالطلبة العراقيين الذين جاءوها من جميع المحافظات العراقية، إذ أجمع عدد من طلبتها على أن «هذه الجامعة فتحت أمامنا بوابة الأمل في أن نبدأ حياة دراسية متطورة والحصول على شهادة معترف بها محليا ودوليا». وتدرس الجامعة الأميركية التي كانت قد افتتحت بجهود من الدكتور برهم صالح رئيس أمناء الجامعة نائب رئيس الوزراء العراقي سابقا ورئيس حكومة الإقليم حاليا، ثلاثة اختصاصات تصبّ في علوم إدارة الأعمال والكومبيوتر والعلاقات الدولية، إضافة إلى تدريس اللغة الإنجليزية في العام الأول".

الطالبة لانا لطيف من بغداد، التي تدرس حاليا اللغة الإنجليزية، في عامها الأول، قالت إنها ستتخصص في العلوم الإدارية، مشيرة إلى أنها اختارت هذه الجامعة لكونها «الجامعة الوحيدة في العراق التي تدرس وفق أسلوب علمي متطور كما أن شهادتها معترف بها عالميا، ذلك أن الشهادة التي سأحصل عليها من أي جامعة عراقية غير معترف بها خارج حدود البلد». وتوضح أن «تكاليف الدراسة سنويا تبلغ عشرة آلاف دولار أميركي، وهو مبلغ لم يعد كبيرا اليوم في العراق، كما أنه ليس مرتفعا إذا ما قارنا بين تكاليف الدراسة في هذه الجامعة وبقية الجامعات الأميركية في الوطن العربي، كما أنها، ومن حيث المناهج وطرق التدريس أفضل بكثير من بقية الجامعات العراقية".

إلا أنه ليس كل الطلبة هم من يتحملون دفع تكاليف الدراسة، فهناك مؤسسات علمية أو منظمات مجتمع مدني تتحمل تكاليف دراسة بعض الطلبة، إذ خصص الرئيس العراقي جلال طالباني، وكذلك رئيس إقليم كردستان مسعود بارزاني وحكومة الإقليم ومنظمة «واعدون» التي تهتم بالمتفوقين دراسيا من الطلبة العراقيين، بعثات دراسية مجانية لبعض الطلبة.

الدكتور برهم صالح رئيس أمناء الجامعة أكد لـ«الشرق الأوسط» أنه فكر في إنشاء هذه الجامعة كي يضيف مؤسسة علمية متطورة إلى باقي المؤسسات الأكاديمية العراقية و«من أجل أن يجد الطالب العراقي المكان المناسب لدراسته بدلا من أن يترك العراق للدراسة في الجامعات الأميركية الأخرى التي تتطلب الدراسة والحياة فيها تكاليف عالية»، مشيرا في الوقت ذاته إلى أن «غالبية من الطلبة هنا حصلنا لهم على دعم سواء من الرئيس جلال طالباني أو من منظمة «واعدون» التي أترأسها والتي تدعم الطلبة العراقيين ماليا وعلميا، ومن مؤسسات علمية ومنظمات مهنية بعيدا عن السياسة وشروطها». وقال صالح إنه «تم مؤخرا التوقيع مع شركة هندسية عقدا ببناء منشآت الجامعة على أرض واسعة جدا حيث ستضم المرافق العلمية ومنشآت إسكان الطلبة وأسواق ودور عرض سينمائية وفنادق ومسارح».

الدكتور جوشوا ميتشل، وهو أميركي يرأس الجامعة، كشف عن الخطط المستقبلية للجامعة وقال: «سنفتح كليات علمية أخرى وسنفتح جامعات مماثلة أخرى في بغداد والبصرة»، مشيرا إلى أن «تكاليف الدراسة هنا هي الأقل بين الجامعات الأميركية في عموم العالم، ذلك أن هدفنا هو ليس تحقيق الأرباح بقدر ما نريد أن نبني جيلا من الخريجين الذين سيسهمون بإعادة البناء في العراق."

الصرح الحضاري الآخر الذي تفتخر به هذه المدينة هو مركز الفنون الذي يعد واحدا من أكبر المؤسسات الفنية في العراق حيث يضم صالات حديثة للعروض المسرحية والموسيقية والتشكيلية، وقد أتيح لنا حضور عرض موسيقي غنائي قدمته فرقة نسائية هي الأولى من نوعها في العراق وتضم عازفات ومغنيات يؤدين الموسيقى والقصائد الكردية. هذا المركز الضخم يقع في شارع يحمل اسم الشاعر العراقي محمد مهدي الجواهري (شارع الجواهري)، ويوضح الكاتب والصحافي الكردي ستران عبد الله أن «مدينة السليمانية هي الوحيدة التي أطلقت اسم الشاعر الجواهري على واحد من أهم وأكبر شوارعها".

باستثناء عدم تحدث غالبية من الشباب اللغة العربية، فإن الزائر لهذه المدينة لا يشعر بالغربة فيها وبين أهلها، فاللغة العربية يجيد التحدث بها وكتابتها بقواعدها النحوية السليمة غالبية المثقفين، فإن أجيالا من الشباب والفتيان حُرموا تعلمها بسبب القطيعة التي حدثت بين كردستان وبغداد منذ ما قبل التسعينات وحتى ٢٠٠٣.

فرهاد، طالب في كلية الزراعة بجامعة السليمانية، يوضح أكثر قائلا: «هناك أيضا ردة فعل طبيعية حدثت ضد كل ما هو عربي بسبب الممارسات الوحشية للنظام السابق ضد الأكراد، فأنا أنحدر من قضاء حلبجة الذي قصفته طائرات النظام السابق بالأسلحة الكيماوية وخلفت أكثر من خمسة آلاف ضحية من الأطفال والنساء والرجال خلال نصف ساعة، فمن الصعب أن تطلب مني أو من أهلي تعلم العربية وقد اقترنت بمن جاء إلينا بالموت المجاني»، مستطردا: «أنا لا أريد تعلم العربية، بل لا أختلط كثيرا بالعرب الذين يقيمون هنا أو يزورون السليمانية لأغراض السياحة، ولا أفكر في زيارة بغداد. عالمي هنا وأنا سعيد بهذا".

لكن زميلة لهذا الطالب تدرس الفنون التشكيلية تنظر إلى هذه الأفكار بدهشة وتقول: «أنا درست لعامين في جامعة بغداد قبل أن أنتقل إلى هذه الجامعة، وأنا كردية ومن السليمانية وليست لدي أي ردة فعل ضد أي عراقي آخر لأن العراقيين لا ذنب لهم في ما اقترفه النظام السابق ضدنا وضد شعبي، بل إن غالبية العراقيين، سواء كانوا من العرب أو الأكراد، عانوا كثيرا من ممارسات نظام صدام»، معترفة بأن لها علاقات صداقة حميمة مع طلبة من العرب العراقيين، والأكثر من هذا هي لا تمانع في أن تتزوج عربيا عراقيا إذا ما ارتبطت بعلاقة صحيحة معه. وترد هذه الجامعية، التي رفضت نشر اسمها، على زميلها فرهاد قائلة: «هو لا يفكر في زيارة بغداد لأنه لم يزرها في حياته وبقي محددا بمساحة السليمانية التي هي صغيرة جدا قياسا بمساحات العاصمة بغداد، كما أنه لم يتعرف أهلَها، ولو فعل ذلك لما قال ما يفكر فيه حاليا. بغداد مدينة جميلة وأهلها منفتحون أمام كل العراقيين، ولم أشعر يوما هناك بأني غريبة؛ كيف أشعر بالغربة وأنا عراقية في مدينة عراقية وبين عراقيين؟".

سوق السليمانية القديمة (القيصرية) واحدة من أجمل مآثرها الحياتية واليومية، فهي مهرجان للألوان والأصوات معا، ألوان الفاكهة والخضار والملابس الكردية الزاهية، تتداخل مع أصوات الباعة الذين يروجون لبضائعهم بكلمات تتناغم موسيقيا مع الإيقاع السريع الذي يسود حركة الناس.

هذه السوق تتفرع إلى أسواق عدة، فهنا سوق الخضار والفواكه، ومنها تتفرع سوق الملابس والأقمشة النسائية، تدور هذه السوق لتقودنا إلى سوق الصاغة والذهب التي تقع خلفها مباشرة سوق الأجهزة الكهربائية التي تلتقي مع سوق السجاد المنسوج يدويا، وإذا ما اتجهت شمالا فسوف يأخذك الطريق إلى سوق الحلوجية حيث تشتهر هذه المدينة ببضعة «أسطوات» صناعة الحلويات التقليدية الخاصة بالسليمانية.

وإذا ما تطلعت إلى المدينة من الطابق العلوي لفندق قصر السليمانية (واحد من أقدم فنادقها وأكبرها) فسوف تكتشف أن السليمانية قد تحولت إلى ورشة عمل دائمة، فالعمال يصلون بجهودهم بين النهار والليل من أجل إنجاز المشروعات الخدمية بفترة استثنائية، مشروعات لم تستطع الأيدي العاملة المحلية إنجازها فاستعانت شركات المقاولات بالعمال القادمين من جنوب العراق وشرقه وغربه لبناء الطرق المعلقة والجسور الداخلية وطرق المرور السريع والفنادق والمجمعات السكنية التي انتشرت في جهات السليمانية الأربع. ففي شمال المدينة كانت أرض خربة تحولت خلال عامين إلى واحدة من أكبر وأجمل المجمعات السكنية التي أنشئت على مساحة ١٢٢ دونماً وتضم ٨٠٤ وحدات سكنية توزعت على فيلات وشقق أنيقة ضمتها ١٦ عمارة واسعة ترتفع إلى ١١ طابقا إذ تم تنفيذ هذه القرية التي أضفت على معالم المدينة أسلوبا سكنيا ومعماريا ولونيا مختلفا تماما عما هو شائع، على مرحلتين أطلق عليها «القرية الألمانية» لأنها استمدت من العمارة الألمانية بعض خطوطها ولكون صاحب الشركة تاليا كان يقيم هناك. ويوضح شاسوار عبد الواحد صاحب الشركة على الرغم من أنه ما زال شابا (٣١ عاما)، أن هناك «مشروعا سكنيا آخر ضخما سيتم الانتهاء من تنفيذه قريبا وهو (كورد سيتي) ١ و٢ الذي يضم ١٢٨٤ وحدة سكنية لأصحاب الدخل المحدود إذ تسهم حكومة الإقليم بدفع نصف سعر الوحدة السكنية بينما يتحمل المواطن المستفيد دفع النصف الآخر بالتقسيط المريح وعلى مدى عشر سنوات، وهذا يحدث للمرة الأولى في العراق أن تتبع شركة مقاولات شققا وبيوتا سكنية بالأقساط بهذه الطريقة من غير أن تطلب أي ضمانات من مصارف أو من الدولة»، مشيرا إلى أن أسعار شقق وفيلات القرية الألمانية مرتفعة بعض الشيء لكونها مترفة وواسعة بينما الوحدات السكنية لمشروعَي «كورد سيتي» ١ و٢ بيعت بأسعار تناسب الموظفين على الرغم من أنها تضم جميع الخدمات الحياتية وتعد شققا مترفة قياسا إلى الموجود حاليا وحتى مستقبلا".

عبد الواحد الذي بدأ العمل في المقاولات البسيطة ثم تدرج في إقامة مشروعات سكنية صغيرة قبل أن يبدأ بتنفيذ القرية الألمانية يؤكد أن «ميزانية هذه المشروعات بلغت أكثر من ١٩٠ مليون دولار، مع أننا بدأنا بمبلغ ٨ ملايين دولار وحصلنا على قروض من مصارف حكومية وخاصة»، منوها بأن «الفرصة الآن مثالية للاستثمار في العراق وبخاصة في مدن إقليم كردستان حيث يشجع قانون الاستثمار والوضع الأمني والتسهيلات التي تقدمها الحكومة المحلية للمستثمرين، وهناك الكثير من المستثمرين العراقيين عادوا إلى الإقليم من الخارج واستثمروا في المشروعات السكنية والسياحية ومشروعات العقارات التجارية، فنحن على سبيل المثال ننفذ حاليا أضخم مشروع سياحي في العراق وفي عموم المنطقة تبلغ كلفته ١١٠ ملايين دولار وهو عبارة عن مد تلفريك بطول ٢٠٢٠ مترا وبارتفاع ٧٠٠ متر مع بناء أكبر مدينتين للألعاب، إحداها مغلقة والأخرى مفتوحة".

ولا يقدم عبد الواحد نفسه باعتباره مضحيا من أجل إسكان مواطنيه ورفاهيتهم فحسب، بل يكشف عن أهدافه بقوله: «أولا هذه المشروعات تحل مشكلات السكن في المدينة، وتسهم برفاهية الناس، غير هذا فإنها تحقق لنا أرباحا جيدة وبفترة قياسية، ثم إننا اعتمدنا على الأيدي العاملة العراقية ومن جميع المحافظات، كما تضفي (المشروعات) طابعا جماليا على مدينتنا التي وُلدنا وترعرعنا بها".

لكن السليمانية لا تزال تعاني من مشكلات شحة الخدمات خصوصا في مجالي الطاقة الكهربائية والمياه الصالحة للشرب، وحسب معلومات قيادي في حزب الاتحاد الوطني الكردستاني فإن «الإدارة الأميركية خصصت مبلغ مئة مليون دولار لمعالجة شحة المياه، ولكن الإدارة الحلية في السليمانية أصرت على تنفيذ المشروع بشكل مباشر ومن قِبلها، فتسلمت المبلغ ولم ينجز المشروع وصار على هذه الإدارة اليوم صرف مبلغ ١٢٠ مليون دولار لإنجاز المشروع بينما في أربيل قامت شركة أميركية بتنفيذ المشروع بالتعاون مع شركة محلية، وهكذا حلت أربيل مشكلتها مع المياه قبل السليمانية بعام ونصف العام»، ويشير المسؤول ذاته، وقد فضل عدم نشر اسمه، إلى أن «مشكلة شحة التيار الكهربائي سببها أن الشركة المجهزة للكهرباء لها ديون في ذمة الحكومة المحلية لهذا وقفت أو قلصت خدماتها وسوف تحل الحكومة الجديدة هذه المشكلة عن طريق تسديد الديون للشركة".

حركة العمران الجديدة فرضت تقاليد اجتماعية جديدة على حياة الناس، تقاليد جاءت في صالح الشباب أكثر من غيرهم، حسبما يوضح مصورنا كاميران نجم الذي يعد خير دليل لمناطق السليمانية. فالأبنية التجارية الجديدة خصصت مساحات فارهة للمقاهي ومطاعم الوجبات السريعة التي تزدحم عادة بالشباب من الجنسين، وساعدت الأفكار المنفتحة لأهالي هذه المدينة على رواج هذه المقاهي وتقبلها. يقول آزاد، وهو طالب جامعي كان يجلس في واحد من تلك المقاهي المطلية من الداخل بالأصفر والبرتقالي والأزرق الباهت، وإلى جانبه عدد من الشابات والشبان مستمتعين بالموسيقى الغربية التي تنبعث من مكبر الصوت، إن «هذه الأماكن تتيح لنا فرص اللقاء مع زملائنا وأصدقائنا بعدما كانت السليمانية تخلو من المقاهي المخصصة للشباب باستثناء الفنادق التي لا يدخلها سوى كبار السن أو النزلاء من الغرباء»، بينما تستطرد زميلته هالالة، وتعني الجميلة، قائلة: «نحن لا نستطيع دخول الفنادق أو المقاهي العامة المخصصة للرجال فقط، وكنا نأمل انتشار مقاهٍ شبابية نلتقي فيها ونتبادل الآراء ونقضي مع زملائنا وأصدقائنا أوقاتا جميلة وبريئة، وهي بالتالي لقاءات تتم في وضح النهار وأمام أعين الناس، أي لا تحوم حولها الشبهات".

فكرة هذه المقهى نقلها صاحبها الذي كان مقيما في هولندا ويحمل الجنسية الهولندية مع أنه ينحدر أصلا من السليمانية، يوضح هيوا عبد القادر الذي يدير المقهى: «كنا نتوقع نجاح مثل هذا المقهى لأننا نعرف أن الحياة الاجتماعية لأهالي السليمانية تسمح بمثل هذه الممارسات الاجتماعية، ففي هذه المدينة أنشئت أولى دور العرض السينمائي التي كانت العوائل تذهب إليها وتستمتع بعروض أفلامها، والمعروف عن أهالي السليمانية حبهم للموسيقى والرقصات الكردية (الديكات) والفرح".

السليمانية بأجوائها وعمرانها وحياتها الجديدة بدت كأنها بيروتُ كردستانِ العراق، فهي المدينة التي يمتزج فيها الجبل والسهل، وتتداخل فيها حياة المصايف بمناخاتها الطبيعية الرائعة، خصوصا مصيف أحمد آوى، وأزمر ودوكان، وعشرات المصايف الأخرى التي تنتظر المزيد من الفرص الاستثمارية لتضع نفسها فوق خارطة المصايف العالمية.

عن صحيفة الشرق الاوسط / سلسلة تحقيقات كتبها الصحفي معد فياض

إن أهالي السليمانية يعتزون بوصف مدينتهم مركزا ثقافيا، فهنا قامت أولى دور العرض السينمائي في هذا الجزء الحيوي من العراق، وللأسف انحسرت هذه الدور العريقة لتقوم مكانها أسواق تجارية وفنادق فخمة. بينما لا يزال المسرح ودور العرض التشكيلي تقاوم مغريات الغزو التجاري. إحدى هذه الدور هي سينما «سيروان» التي تهرأت واجهتها حيث جلس أربعة من كبار السن يلعبون الدومينو عند مدخلها الذي لم يعد يزدحم بالمشاهدين

تأريخ تأسيس مدينة السليمانية

لمدينة السليمانية منزلة استثنائية في نفوس العراقيين، لما تكتنفها من أمل و منظور للتحاب والتواصل والانفتاح بين أطياف الشعب العراقي الجميلة، فالسليمانية معروفة بمصيف العراقيين.
من أمهات مدن كردستان العراق وأجملها وأكثرها انفتاحا اجتماعياً. وتعود قلعتها ومحيطها إلى حقب سابقة ونجد في محيطها آثارا قديمة منها آثار ما يطلق عليها (قلعة بازيان)، وفي تحليلنا الأولي المعماري لها تبدو وكأنها دير وتحتضن في كنفها كنيسة تحاكي كنيسة المدائن التي تعتبر من أوائل ما شيد في العراق بما يجب أن نسميه (العمارة المسيحية العراقية). وتعود بواكير تمصير مدينة السليمانية إلى الإمارة البابانية في شمالي العراق في القرن الثامن عشر للميلاد.
لقد كانت قد عمت في حينها حمى إنشاء الإمارات في إطار الدولة العثمانية "العلية"، فكان الدايات في الجزائر و البايات في تونس والقرمنيلية في طرابلس وليبيا والمماليك في مصر والشهابية في لبنان والكرجية المماليك في العراق، ابتداءً من سليمان أبو ليلى عام١٧٥٠، حتى داود باشا عام ١٨٣١. ونشأت الإمارة البابانية في طرف العراق الشمالي الشرقي و اتخذت (قلعة جوالان) مركزاً لها. وفي سنة ١٧٧٨ م تقلد شؤونها محمود باشا بابان واعتزم توطيد نفوذه وتقوية مركزه فأنشأ قلعة حصينة في قرية (ملكندي) عام ١٧٨١م والتي هي اليوم اسم إحدى المحلات المعروفة في مدينة السليمانية.
وتقع "السليمانية" وسط سلسلة من الجبال متصل بعضها ببعض فتجعلها كالفردوس الزاخر بمناظرها الطبيعية فإذا جاء الربيع كساها حلة من العشب الأخضر، و إذا كان الشتاء البسها من الثلج ناصعة فتبدو تحت وهج الشمس كملائكة تسبح بحمده. أما في الصيف فالهواء معتدل، والمياه عذبة تجري دافقة من الجبال والعيون فتمر في أكثر البيوت. وتهب فيها تيارات هواء شرقية في أوقات مختلفة يسمونها "ره شبا" أي " الهواء الأسود" فتعطل الحركة أحياناً فيها.
وكانت القلعة العمارة الأولى التي شيدت هناك، فلما آلت الإمارة إلى إبراهيم باشا ابن احمد باشا بابان بعد عامين، طمح إلى تعزيز شؤون ملكه والسير على منهج سلفه، فانشأ حول القلعة المذكورة عام ١٧٨٤ م دورا عديدة، وحوانيت، ومسجدا جامعا، وحماما، ثم نقل إليها مركز الحكم من (قلعة جوالان) فتحول إليها جموع من طبقات الشعب المختلفة، وكتب إلى صديقه سليمان باشا الكبير الوالي المملوكي الشيشاني المعروف، والي بغداد يومئذ، يخبره بذلك، وانه سمى هذه المدينة الجديدة بـ (السليمانية) تيمنا باسمه – على رواية دائرة المعارف الإسلامية – وعلى اسم جده سليمان باشا – على رواية بعض المؤرخين.
لم تزل تلك الحاضرة في تقدم وتوسع حتى غدت مدينة كبيرة، ولكنها عادت بعد سنوات فانحطت بسبب الثورات والحروب الخارجية والداخلية التي توالت عليها، حيث ظلت السليمانية في حالة صراع دائم. ولم تجد السليمانية فرصة للتجدد والنهوض من كبوتها إلا بعد سنة ١٩٢٤ م فانطلقت وتوسعت وأخذت قيمتها الحقيقية. حيث فتحت فيها الشوارع الفسيحة، و أقيمت العمارات وشيدت الإنزال والقيساريات والمخازن والحدائق العامة، والمباني الرسمية الضخمة كالسراي والمستشفيات والبنية التحتية ومخازن التبوغ والمدارس المختلفة، فاستردت منزلتها القديمة وفاقتها و أصبحت من المدن العراقية المشهورة بحسن تخطيطها.وفي عام ١٩٥٦ شيدت في مدينة السليمانية مجموعة من المدن العصرية فزاد توسعها ومكانتها. ومن أقدم معالمها اليوم "المسجد الكبير" الذي أسس في زمن إبراهيم باشا بابان.
وتبعد السليمانية عن كركوك شرقا ١٤٠ كيلومترا. والتي تتوسطها منطقة دربند الجبلية التي ليس في شمال العراق بكثرة ثمارها و حاصلاتها، وسعة التجارة وخاصة القادمة من إيران. وفي مدخلها – لمن يأتيها من كركوك – مصيف جميل جدا يسمى "سرجنار" يقصده المواطنون لقضاء أوقات راحتهم فينعمون بخرير مائه وكثرة أطياره ومناظره و أشجاره. وبجوار هذا المصيف معمل للاسمنت أنشئ في عام ١٩٥٦م وآخر للسكر أنشئ عام ١٩٥٨ م وثالث للسكاير وبالقرب منه مزرعة نموذجية فيها كل ما لذ وطاب من أشجار الزينة والفواكه وغيرها.
وعلى مسافة ستين كيلومتراً من شمالي غربي مدينة السليمانية يقع (سد دوكان) وهو سد خرساني طوله (٣٢٥) مترا وارتفاعه مائة وثمانية أمتار على نهر الزاب الصغير في مضيق دوكان، ويستوعب زهاء سبعة مليارات مكعبة من المياه، و يستعمل لتوليد الكهرباء. أما أهم أهداف هذا المشروع فكان حينئذ حجز مياه الزاب الصغير من الانسياب في دجلة فيخفف وطأة الفيضان فيه. وقد كان بدأ العمل به عام ١٩٥٤ م.
والغابات هنا دانية بمختلف الأثمار، أما العسل الذي يجنى في هذه المدينة وفي القرى المجاورة لها، فلا نظير له في الجودة، وسكانها يعملون للنحل خلايا يأوي إليها فإذا صار الخريف باشر الناس جمعه، بأساليب بدائية. وترى الأهلين يتداركون الأخشاب والاحطاب التي جادت بها الطبيعة بكثرة ليصطلوا بنارها وليدفئوا من برد شتائها.
وسكانها يصنعون من الأخشاب الجبلية المتينة أدوات منزلية فولكلورية. و يتعاطى بعضهم الصناعة وحياكة البسط والسجاد لحاجتهم. وتنتشر في "السليمانية" طريقتان من الطرق الصوفية المعروفة، تدعى الأولى الطريقة النقشبندية نسبة إلى الشيخ محمد النقشبندي المتوفى عام ١٣٨٨ م. وتسمى الثانية الطريقة القادرية نسبة إلى الشيخ عبد القادر الجيلي (الكيلاني) المتوفى عام ١١٦٥م وقد نشر الطريقة الأولى في هذه الإطراف الشيخ خالد النقشبندي الملقب بضياء الدين المتوفى سنة ١٨٣٥ م. ونشر الطريقة الثانية فيه الشيخ محمد النودهي المشهور باسم الشيخ معروف المتوفى عام ١٨٣٤ م و الزعيم المعروف الشيخ محمود المتوفى عام ١٩٥٧ م إنما هو حفيد الشيخ معروف المذكور. وهو مدفون في الجامع الكبير إلى جوار جده الشيخ كاكه احمد. ولهاتين الطريقتين آداب وطقوس يتوارثها الأحفاد عن الأجداد.
وتسود في السليمانية، اللغة السورانية الكردية، التي تختلف عن اللغة البهدنانية (الكرمنجية) الكردية السائدة في دهوك.
ويرتبط بمركز قضاء السليمانية أربع نواح وهي تانجرو، قره داغ، سورداش وبازيان. "ناحية تانجرو" مركز قرية جميلة تقع في الجنوب الشرقي لمدينة السليمانية، وتبعد عنها ٢٤ كيلومترا،، ومناخها جبلي ، وأهلها أهل ورع ، وحاصلاتها وفيرة والطريق إليها سهل منبسط.
" ناحية قره داغ ": مركزها القرية المسماة باسمها، وهي قرية جميلة، غزيرة المياه مشهورة بهوائها العليل، وهي على مسافة ٤٨ كيلومترا من مركز السليمانية جنوبا، واعتبرت من المصايف المهمة هناك.
" ناحية سورداش " : تبعد عن السليمانية ٥١ كيلومترا الشمال الغربي، وهي قرية جميلة ذات مناظر حسنة، وسكان هده الناحية معروفون بصلابة عودهم، وقوة شكيمتهم وخشونة طباعهم.
" ناحية بازيان " : مركز هذه الناحية قرية " تاينال " الواقو" على مسافة ٤٨ كيلومترا عن غربي السليمانية، وتحيط بها رياض وغياض تجعل لها منظرا جميلا وموقعا ممتازا، ويقال انه كان في هذه المنطقة عشيرة اسمها "باسيان " فانقرضت وبقي هذا الاسم المحرف لها،وفيها الدير كما نوهنا.
وللسليمانية ملحقات منها (قضاء شهر بازار) (أي مدينة السوق) بالفارسية والكردية، و مركز هذا القضاء قرية جوارتا – بالجيم الفارسية المضمومة حيث تجثم على سفح جبل "سرسير" في موضع يبعد ٣٨ كيلو مترا من السليمانية شمالا بشرق. وفيها بعض المعالم المعمارية منذ ثلاثينيات وأربعينيات القرن العشرين للإدارات العراقية. لكنها تتصف بأجواء قروية. ولأهل "جوارتا" ولع خاص بتربية الماشية، لكثرة ما يحيط بقريتهم من المراعي والمروج أما ماؤها فعذب لأنه ينبع من عيون غزيرة، وأما هواؤها فصحي مفيد، وتقرب منها "قلعة جوالان" القرية التاريخية التي كانت مركز الحكم البابانى قبل أن يهاجر منها إبراهيم باشا بابان إلى "السليمانية " عام ١٧٨٤ م وتتبع هذه المنطقة قرى ناحيتين وهما: ناحية ماوت و ناحية سروجك. " ناحية ماوت ": مركز هذه الناحية القرية المسماة باسمها. وهي قرية واسعة العمران، كثيرة السكان بالقياس إلى عمران مركز القضاء جوارتا وعدد سكانها. تبعد عن المركز المذكور ٣٠ كيلومترا. أما فهي" ناحية سروجك " : مركز هذه الناحية قرية " برزنجه " التي تبعد عن السليمانية ٥٧ كيلومترا وعن "جوارتا " ١٦ كيلو مترا وهي قرية معروفة بتدين أهلها.

عن موسوعة مدن العراق
بغداد
1982

ذاكرة عراقية

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم

مدير التحرير : علي حسين
هيئة التحرير: باسم عبد الحميد حمودي . رفعت عبد الرزاق
التصميم : نصير سليم التصحيح اللغوي: مروان عادل

طبعت بمطابع مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون